

روايات عناده



فادة

أدوين سامايلز
صقر السعادة الزرقاء



www.elromancia.com

مرمية

دار العـام للحـمـيمـيـع

سـعادـة . بـنـان

نَاطَة

ادويتامايلز صقر السماء والزرقاء

منذ خمس سنوات، عندما كانت في الثامنة عشرة، كانت اماندا خائفة بدلاً من أن تكون متسلقة لعرض سيزار دروتسو بالزواج. فقررت أن لا تكون فروة أخرى على حزام سizar.. أو عبدة لظرفه التسلطية.. وهي حتماً ابتعدت عنه. لكنها الآن هي من جديد في منزله في توسكانى، وهذه المرة مخطوبة لشقيقه الأصغر والألطف بيارو. لكن سizar، سرعان ما ظهر، وليست لديه نية بقبول الوضع. رفض الاعتراف باماندا كخطيبة لشقيقه، معلناً أنها كانت له وليس لشخص آخر.. والعائلة كلها، والمدينة بأسرها، ظهروا مؤيدين لها فقط ما الذي تستطيع أن تقوم به اماندا؟.

وهيكل التوزيع الوحدى في الكوبت
الطمفي للنشر والتوزيع
٢٧٣٨٩٦



كانت أماندا راكبة على صهوة حصان فضي عندما وقع نظرها على وجه مالوف بين الجماهير المحتشدة في معرض هوليداي بانك في هامستريت.

ثانية مذهلة شعرت كأن الهرج والمرج أصابها بدور أعادها عبر الزمن. الموسيقى الصاخبة عزفت، والأضواء البراقة مضت، الخيول تصعد وتنزل، تدور وتندور. تعلقت أماندا بالعامود الملتوi المدهون الذي يمسك حصانها وفكرت بسيزار دروتسو، السيد الأوتوقراطي لسان فولنكو، مدينة العصور الوسطى المسورة التي هربت منها منذ خمس سنوات.

هل كان ممكناً هنا، بين هذا الحشد اللندني الديمقراطي الصاخب، كانت وجهاً لوجه مع بيارو

شقيق سizar؟

هدأت الموسيقى، توقف الهرج والمرج. محبت
خمس سنوات عندما قفز بيارو إلى جانبها ليساعدها
على النزول عن صهوة جوادها، عيناه السوداوان مليتان
بالدفء الصالح.

«لم أستطع أن أصدق عيني! من بين جميع الناس في
لندن أنت الوحيدة التي أرددت رؤيتها، وها أنت فجأة!
انه غير معقول!».

استطاعت أماندا فقط أن تتمتم بصوت خافت:
«بيارو.. أهذا حقاً أنت؟».

قبل يدها بشهامة لاتينية: «انه بالتأكيد أنا، وأنا
مسحور لرؤيتك ثانية..».

«يا الهي، لقد كبرت. لقد كنت تمثلي بصعوبة عندما
رأيتني لأآخر مرة، لكنك استطعت نوعاً ما أن تحوز على
سحر آل دروتسو في نفس الوقت، كما أرى».

«أمشي بصعوبة؟» اللغة الانكليزية الممتازة لبيارو لم
تكن كاملة تماماً، هي رأت، حالما هو عبس مستفسراً:
«انها تبدو ثورية. اليه كذلك؟» عندئذ، شاهد كيف
ضحك: «نعم، أنا أرى هكذا! وبالنسبة للسحر، يبدو
أنني أتذكر أنك كنت الائبات ضد سحر عائلتنا؟» رفع
 حاجبه الأسود الرفيع، وبذا مرحاً.

شعرت بخديها تدوران ونظرت اليه بتعاب: «أنا لا

أعتقد بأنه يتوجب علينا أن نتحدث عن ذلك».

«الم اذا لا؟ كل شخص يعرف، حتى الذي يمشي
بصعوبة.. تلك هي الكلمة؟ كان يغطيها، ويمنع
نفسه. تذكرت جيداً كيف كان بيارو يغطي دائمًا، الطفل
المرح ذو العينين اللتين تغمزان والفهم الذي يضحك
طوال الوقت: «أتخيل كيف ابتعدت عن سizar! المدينة
ضجت بذلك لأشهرًا كل الفتيات امتلأن بالحسد،
واعتقدنا بأنك مجنونة.. ولا واحدة منهم كانت لتضيع
فرصة الزواج من شقيقتي».

«ما الذي تفعله في انكلترا» كانت مصممة على عدم
مناقشة المسألة: «هل أنت هنا منذ فترة طويلة؟ متى
ستعود؟».

«حسناً، أنا هنا لأنتعلم الطرف الانكليزي لتجارة
النبيذ. لقد وصلت الشهر الماضي وسأعود في خلال
شهرين» توقف عن روافق اطلاق النار: «هل أربع لك
أرنبًا ورديًا؟» أشار إلى الخادم، واختار بندقية،
وصوب. كان رامياً جيداً. بعد لحظات سارا مبعدين
مع أرنب وردي.

نظرت إليه بابتهاج: «سوف أكتنزه دائمًا.. انه سوف
يذكرني بك».

«عندى فكرة بأنه ستكون لدى مشكلة معك. أنت
تستعملين كلمات مثل أسلحة خفية».

«هكذا اكتشفت» أطرق برأسه: «هل تخرجين معي من حين آخر؟».

شكرته بأسى. وقفَا معاً، في الملجأ المجهول للجماهير، الأضواء تووضع بمرح من حولهما، والموسيقى تحلق في سماء لندن، وراء الدائرة البراقة للمعرض تقع هيث بعيداً، واحة طبيعية غامضة وكثيرة الفضال في الامتداد الشاسع لمدينة لندن: «كم هو عزيز أن يتوجب علينا اللقاء هنا!» كانت مندهشة من شهوات القدر.

«القد اتصلت بك هاتفياً مرتين» قال بيارو: «أنت لم تكوني موجودة وأنا لم أترك اسمي لأنني أردت أن أفاتحك».

«أنا كنت اتصلت بك لو تركت اسمك» أشارت. هز كتفيه، بطريقة ايطالية بحثة: «لكان الأمر أقل مرحأً. وإذا كنت مشغولة جداً مع شخص ها...» عيناه السوداوان جستا وجهها، بغضول ودهاء: «إذا كان هناك رجل أنت قد لا ترغبين في تعقيد الأمور».

أطلقت أماندا اليه نظرة طويلة: «القد كبرنا معاً.. نحن كنا تقريباً أخاً وأختاً بالطبع كنت أردت رؤيتك، أيها الأحمق».

«أخ وأخت؟» قام بيارو بتكتيره عنفقة: «لا، لن يكون كذلك، يا عزيزتي» والمخطط الناعم للشباب بدا

النظرة الجانبيّة ذكرتها بالنظرات القائمة لآل دروتسو، والبشرة الزيتية الصافية، والشعر الأسود المجعد، والملامح الجميلة. كطفل تذكره بأنه كان جذاباً للغاية... لقد كبير فاصل شباباً يأسر جميع العيون الأنوثية. هو ما زال يحمل نعومة الشباب من حوله، ومنظر رقيق بخفوت حول الفم، ورقة أنوثية تقرباً، متذكرة شقيقه، قدرت أن هذا سينجرف مع الزمن. كان سizar أشد قساوة، وكثير الزوابا في الملامح، ورجل رجولي جداً.

تيقط بيارو: «آسف جداً لأسمع عن والدك. نحن جميعاً كنا. لقد تأملنا بأن نعود إلى الوطن بعد الجنائز... والدتي تحفظ بغرفتك جاهزة».

«إنكلترا وطني الآن. لقد كانت للسنوات الخمس الأخيرة».

«لكنك ما زلت نصف ايطالية. لقد عشت في فولنكو لثمانية عشر عاماً من عمرك. ألا يعطينا ذلك مزيداً من الحق أكثر من إنكلترا؟» بدا متائماً.

ابتسمت اليه بلطف: «أنا لم أنسى فولنكو، لكنني صنعت حياة لنفسي هنا. أنا أعمل في مكتب استيراد ضخم، أترجم الإيطالية إلى الانكليزية، والعكس بالعكس. عندي شقة جميلة، وأصدقاء، وهوايات. أنا أحب لندن. هناك دائماً الكثير لتقوم به هنا».

التالية! شيء ما يفرحها. هي كانت دائمًا مولعة بك،
أماندا عز...».

«أنا مولعة بها جداً، أيضاً» قالت أماندا بشوق.
«لكن ليس بسيزار؟».

«أتمنى لو توقف العزف على قيثارة شقيقك!». هي كانت مدركة أن وجهها تورد كثيراً، وذلك جعلها معاكسة. حتى عند هذه المسافة، يبدو أن سيزار يستطيع الهيمنة على حياة أولئك المقربين والعزيزين عليه، وحتى أولئك اللواتي هجرته، كما فعلت هي.
«الماذا رفضته؟» ألح بيارو، غير منزعج بسورة غضبها الخفيفة.

قبل أن تستطيع إيقاف نفسها نطقـت بالحقيقة: «أنا لم أكن أريد الزواج من ديكثانور!».

بدا بيارو مندهشاً، متسلباً، وفصوليـاً: «ديكتانور؟» كرر الكلمة كأنها أفرحته، وتلذـذ بها.

«سيزار هو أوتوقراطي، وحاكم مملكة صغيرة. زوجته ستكون لا شيء سوى عبدة».

بعض التعبير في عيني بيـارو السوداويـن جعلـها توقفـ، فلقة قليلاً الآن. هي كانت، بعد كل ذلك تتحدث عن شقيقـه، وعائلـة دروتسـو متقاربة جداً. ما يؤثر على واحد، يؤثر على الجميع. كانوا دائمـاً مهتمـين لبعضـهم البعضـ، متورطـين مع بعضـهم البعضـ. ذلك

أكثر صـلـابةـ، وأكثر رجـولـيةـ عندما عـبسـ.

«هـنـاكـ أـسـنـلةـ عـدـيدـةـ» قـالـتـ: «كـثـيرـةـ أـرـيدـ أنـ أـسـأـلـكـ أـيـاـهاـ.ـ أـنـاـ قـلـمـاـ أـعـرـفـ مـنـ أـيـنـ أـبـدـاـ».

«أـنـتـ لـاـ تـبـتـدـئـنـ مـعـ سـيـزـارـ؟ـ سـأـلـهـاـ بـنـعـومـةـ.

تورـدـ خـدـاهـاـ: «كـيـفـ حـالـ سـيـزـارـ؟ـ أـبـقـتـ نـعـمـتهاـ خـفـيقـةـ وـبـارـدـةـ.

«أـنـهـ..ـ سـيـزـارـ!ـ» ضـحـكـ بـيـارـوـ: «ـهـوـ،ـ بـالـطـبـعـ لـاـ يـرـالـ عـازـبـاـ».

«ـلـمـاـذاـ؟ـ» اـدـعـتـ الـحـيـرـةـ: «ـلـمـاـذاـ لـمـ يـتـزـوـجـ فـيـ السـنـوـاتـ الـخـمـسـ؟ـ مـعـ كـلـ تـلـكـ الـفـتـيـاتـ الـحـائـمـاتـ حـولـهـ؟ـ».

«ـلـوـ أـنـ تـزـوـجـ،ـ لـكـانـتـ أـمـيـ قدـ كـتـبـتـ لـكـ» أـشـارـ بـيـارـوـ بـهـدوـ: «ـهـيـ تـكـتـبـ بـاـنـظـامـ،ـ بـلـسـ كـذـلـكـ؟ـ نـحـنـ نـشـاهـدـ تـحـارـيرـهـاـ تـنـطـلـقـ إـلـىـ انـكـلـتـرـاـ كـلـ أـسـبـوعـ،ـ وـتـحـارـيرـ تـأـتـيـ..ـ مـنـفـلـاتـ صـغـيرـةـ رـقـيـةـ نـوـعـاـ مـاـ مـقـارـنـةـ مـعـ تـحـارـيرـهـاـ،ـ لـكـنـهـاـ تـجـبـ بـنـفـسـ النـوـعـ».

تورـدـ خـدـاهـاـ: «ـأـنـاـ لـدـيـ الـقـلـيلـ لـأـخـبـرـهـاـ بـهـ حـيـاتـيـ..ـ» تـلـفـتـ حـولـهـاـ: «ـمـاـ أـسـتـطـعـ أـنـ أـخـبـرـهـاـ؟ـ مـاـ الـذـيـ سـتـفـهـمـهـ عـنـ لـنـدـنـ؟ـ هـيـ لـنـ تـعـادـرـ فـولـنـكـوـ فـيـ حـيـاتـهـاـ».

«ـهـذـاـ صـحـيـعـ» اـبـتـسمـ لـهـاـ،ـ عـيـنـاهـ السـوـدـاوـانـ مـضـيـتـانـ: «ـلـكـ سـيـكـونـ عـنـدـيـ شـيـ،ـ مـاـ أـخـبـرـهـاـ بـهـ فـيـ رـسـالـتـيـ

يعلن خطوبتها. العائلة نظرت الى الموضوع كامر مفروغ منه. لا عجب ان كان سizar المسكين هائجاً.. الاذلال العام له يجب أن يكون مقيناً، فعلاً.

ألم والدتها ازداد سوءاً عن الاحتمال، خاصة لسبب مجهول لها، مرض لوشيا ازداد خطورة عندها، وهي توفيت بعد ذلك بفترة قصيرة.

شعرت اماندا بالألم مع الذنب بعد وفاة والدتها، وأدركت بمرارة أنه كان بإمكانها أن تجعلها سعيدة لو هي قبلت سizar. لو أن الأمر كان فقط مختلفاً كل حياتها كانت خاضعة لسلطة سizar. كان يكبرها بعشر سنوات، طفل أسمى رفيع بدا كبيراً عندما كانت هي لا تزال طفلاً والذي استقر بصورة طبيعية مكان والده لدى وفاة الكونت العجوز. اماندا، بكل بساطة، كانت خائفة من سizar.. . رجل متغطرس مستبد أكبر منها بكثير ولم تكن فكرتها به كشريك عاطفي.

أنا كنت صغيرة جداً. لماذا جمیعهم خططوا لمثل هذا الند غير المناسب، على أي حال؟.

لماذا وافق سizar على ذلك؟ تعجبت فجأة. هو لم يكن الرجل الذي يقوم بأي شيء ما لم يكن راغباً فيه، مع أنه تقدم بعرضه طائعاً بناء لاقتراح والدتها! من المفترض أنه قرر بأنها ستكون عروسًا مناسبة، وهو لم يكترث كثيراً فيما إذا بالامكان أن يكونا سعيدين. هي

كان سبباً آخر لقرار والدها بترك المدينة.

جيمس برايس زار سان فولنكو بعد الحرب، التقى ووقع في غرام ابنة عم الكونت الثانية، فتاة رقيقة ناعمة ذات عينين سوداويتين وابتسامة عذبة. تزوجا ولكي يسعد زوجته استقر جيمس في المدينة. كان يدير محلات للتحف الأثرية. طفلتها الوحيدة، أماندا، ولدت ونشأت هناك. لوشيا برايس كانت مكرسة كلباً لابنتها، لكن أغلى أمنية لديها كانت أن ترى أماندا متزوجة من الكونت الشاب، سizar. والدة سizar، الكونتيسة ماريا، كانت صديقة لوشيا المفضلة منذ أيام دراستهما معاً.

في عيد ميلاد اماندا الثامن عشر أقامت الكونتيسة ماريا حفلة كبيرة لها، في قاعة القلعة، وبعد ذلك أخذها سizar في مشوار الى الحديقة المسورة الكثيرة بالظلال، حيث أحواض الأزهار البنفسجية جعلت الهواء عطراً. قدم سizar عرضاً رسمياً، وتجهم وجهه الأسم. اماندا، شاحنة وتملعنة، رفضته بصعوبة. وقف ساكناً تماماً لعدة ثانية، ثم نظر عالياً بسرعة، رأى وجهه بدون قناع، فالهدوء المعتمد الذي أظهره للعالم ذاب. الغضب، الأسود والرهيب، اندلع لهيبه نحوها. تراجعت، مرتعشة لم تتوقع هذا للحظة.. لقد أخافها. عندما عادا الى القاعة، كل شخص نظر اليهما، وهي الآن رأت بوضوح تام أن الجميع توقعوا منه أن

بوظائف معقدة مرتفعة الأجر، وطردن بيارو وموافقه القديمة من عقولهن. هن عرضن عالمهن الخاص، ومبتهجات كما كان هو، وبيارو لن يتناسب فيه. كان زائراً من عصر آخر.

عدة مرات كل أسبوع بعد ذلك بيارو وأماندا التقى، وتعشيا ورقصا، وذهبا إلى المسرح أو الحفلات الموسيقية، وبارا في حدائق كيو أو أبرا عبر نهر التايمز. مما شاهدا معاً معظم مناظر لندن، وقاما بكل الأشياء «السياحية» التي تكون ممتعة بالرغم من النكبات السفطائية حولها.

كانت سو هي التي سألتها: «هل وقعت في حبه، يا ماندي؟».
وأماندا بدت مذعورة، وأخذت على حين غرة: «ماذا؟ كم هذا مضحك!».

نظرت سو إليها بكلبة: «أكيد؟».

ثم بيارو، عندما رقصا في ناد ليلي هاديء، أدناها منه وقال فجأة: «أماندا؟ حبيبي؟».

شعرت فجأة برثكيتها تنهاران، فعرفت الشعور المألوف للخضوع، وفقدان الهوية. بكل تأكيد لا، قالت لنفسها بعنف. هي كبرت بعيداً عن تلك الصدامات للمرأفة، وتلك الهجمات الفجائية للحب. مثل الحصبة هما كانا جزءاً من شبابها. أصبحت بالغة

لم تكن قادرة للتخليل سizar تحت رحمة العاطفة، أعمى في الحب أو ضعيفاً عند الركبتين، كما كانت هي منذ مرة أو مرتين.

الحب جاء إليها موجزاً، وعنيفاً. مدرب كرة المضرب ذو شعر رملي ومعصمين قويين سماراوين.. وشاب في اسكتلندا السنة الماضية، ذو عينين خضراءين ولهمجة لذيدة تكشف عندما يتحدث بخجل عن الحب، وعرفت حتى في دوامتها القصيرة أن ذلك لن يدوم، لكنه دام، بطريقة غريبة، علمتها الكثير عن الحب.

اشتبهت أن سizar لن يتعلم حتى ذلك القليل. المرء يجب أن يهجر ذاته، ويستسلم، ويصبح ضعيفاً. سizar لن يخضع إلى ذلك.

كان بيارو يحدق إليها: «بماذا تفكرين؟».

«لا شيء من الجميل التحدث إلى شخص ما من فولنكو ثانية، هذا هو كل ما في الأمر».

هي تشارك بشقتها المكونة من ثلاثة غرف مع صديقين. كن فتيات عطوفات، أليفات، ومقدرات، وبيارو أدهشهن. هن لم يستطيعن رفع عيونهن عن ملامحه الزيتونية الجميلة، وفمه الجميل، وعيشه السوداين. أظهر لهن سحره ومودته المجاملة، هن تهمن لأيام تلاشت بخضوع أنثوي، ثم انطلقن للقيام

الرشد الآن.

في الشقة، المهجورة من صديقتها هذا المساء، قبلها بيارو، والعالم دار مثل الهرج والمرج في المعرض. اماندا تعلقت، ذراعها حول عنقه، بينما هو همس بالإيطالية، الكلمات العطرة المألوفة لهذا الحب الجديد: «حبيبي، حبيبي.. أنت جميلة.. يا فتاتي.. أعتقد أنني وقعت في الحب».

عند مؤخرة رأسها المصاب بالدورار، قال صوت صغير: «لا.. لا!» لكن اماندا لم تسمع، ولم تفهم. كانت منشغلة جداً في التعامل مع هذه اللهجة العاطفية. بعد عدة أسابيع مما أمضيا نهار السبت في كينوود هاووس، في هامستير، يتمشيان في الحدائق الريفية بجانب البحيرة، ينظران إلى اللوحات في غرف القرن الثامن عشر الأنيقة، ويتحدىان وهما يأخذان حمام شمس على المروج. أكلوا السلطة على الغداء في منزل من عربة قطار، يتحول إلى مطعم في الأيام السياحية. طاولاته وضعت بجانب عربة قطار عائلية فيكتورية سحافظة تماماً، مطلية بالأسود والأحمر. اماندا شاهدت وجه بيارو ينعكس في الخشب المصقول.

«هل تتزوجيني؟» سأله بسرعة، واتكأ إلى الأمام، عيناه السوداوان يقظتان: «عودي إلى الوطن، يا حبيبي، الوطن في فولنكو، كزوجتي».

كان هناك صمت أشبه بالغيوبية حالما سمحت للكلمات بأن تغوص في دماغها. كانت نصف متوقفة لها، مع أنها كانت لا تزال مصعوبة بأنه قالها فعلًا. نظرت إليه بعصبية: «بيارو.. الأمر صعب..». «سيزار؟» نظر إليها بلطف: «أنا أعرف، لكن بعد خمس سنوات فإنه من غير المحتمل أن يمانع بتاتاً، كل شخص سيكون سعيداً بعودتك. خاصة أمي.. لقد ألمحت إليها في رسائلي، وأعتقد أنها فكرت، أني متأكد بأنهم سيقبلون الوضع».

لم تكن هناك حاجة له لسؤال اذا كانت تحبه، أو ليخبرها كيف يشعر. هما عرفا كل ذلك مقدماً. الحب رفض خلال حياتهما حاملاً كل ذلك أمامه. كل ما بقي لهما كان هذا القرار النهائي.

نظرت إليه بضعف، راغبة في الموافقة. كان محظوظاً، دافئاً، لطيفاً، وجميلاً للنظر إليه. ليس هناك من سبب يوجب عليها أن تتردد.

مع أنها ترددت، وغضبت على شفتها، فهي مزقت هذه الطريق وتلك. بيارو ابتسم لها، وأخذ يدها وقبلها وغرق في البهجة والحب.

«قولي نعم» توسل بنعومه.

سمعت شفتيها تحركان، ولسانها تنفس الكلمة التي نمنى سماعها. وجهه أضاء، ورفع يدها إلى شفتيه

و قبلها باحترام.

تلك الليلة، استيقظت من نوم عميق لكنه مزعج، وكلمة «لا» ففزت من شفتيها المرتعشتين.

كانت مبللة بالعرق، ترتجف من الخوف. وجه سizar الأسم ومض في ذهنها، والغضب يشع منه. ماذا فعلت؟ سألت نفسها بضعف.

طارا معاً إلى ميلانو. دهشت اماندا وهي تدرك، عندما نظرت تحتها إلى حقول انكلترا الخضراء، كم هي نادمة على ما خلفته وراءها. بالرغم من كل ما قالته بيارو، وبالرغم من كل ما قالته لنفسها، فهي لن تضع جذوراً في انكلترا. السنوات الهامة التشكيلية أمضيت في مكان آخر. كانت سراً من منفي خلال تلك السنوات الخمس، منفي عن سهل سان فولنكو الدافي، الذي تقبله الشمس. ها هي الآن عائدة، وقلبها كان خفيفاً.

طردت مخاوف الليل التي جلبتها لها خطوبتها. لماذا، كما قال بيارو، يجب أن يغضب أي شخص إن هي تزوجته؟ خمس سنوات كانت كافية تماماً لمسح كل الديون القديمة.

استأجرا سيارة في ميلانو وانطلقا بها لبقية الطريق إلى فولنكو.

حسب الأسطورة العائلية، كان فولنكو فارساً خلال الحروب الصليبية الأولى الذي عاد إلى إيطاليا سالماً،

وفي رحلته إلى الوطن شاهد ظبياً فضياً يقفز عبر السهل العريض وراء النهر. لحق به عبر المياه البراقة، وعبر السهل فوق منحدر صخري لجبل، حيث استدار أخيراً، وفرناه شكلاً صليباً، قبل أن يختفي عن ناظريه المبهورين. أنس فولنكو ديراً فوق المكان، مفتئعاً بأنه رؤيا السيد المسيح عليه السلام.

على مر السنين نمت مستوطنة حول أسوار الدير. خلال الفترة الخطيرة للعصور الوسطى الأولى وصلت عائلة دروتسو، وبنت قلعتها وأحاطوا كلّاً من القلعة والمدينة، والدير بأسوار محصنة أحاطت الجبل بكامله. كنيسة الدير، مع صليبيها الفضي الذي يعتلي فوق برج الجرس القديم، لا تزال قائمة عند القمة، تشاهد من بعد أميال عبر السهل الأخضر، آل دروتسو طردوا منها، خلال عصر النهضة، ليعودوا من جديد ويحتلوا قلعتهم القديمة في معركة دموية. أحد أفراد العائلة أصبح باباً، فقط ليموت بنوبة قلبية في لحظة حرجة. كانوا جنوداً، وأصحاب مصارف، وتجاراً، وفنانين. الآن هم صنعوا معيشتهم بطريقة أزلية من التربة.. مع كروم العنبر والخيول.

صور قائمة منها معلقة على جدران رواق كثير الطلال فوق القاعة.. صور تمتد إلى القرن الثامن عشر. أشهرها كانت لبياتريس، كان يعتقد، رغم أن

بشرتك. حمقاء، حمقاء يا حبيبي. خائفة من ماذا؟ من أولئك الذين يحبوننا؟ أمي، والعمدة تيريزا، وغوييليا..».

«سيزار» همست بصوت أحش، والتقطت أنفاسها.
تلبد وجه بيارو فجأة، في غضب غير مميز ذكرها بشقيقه: «سيزار! سizar! دانما سizar! لقد بدأت أتعجب من حقيقة شعورك حيال شقيقي!».

شجب وجه اماندا، ثم احمر: «بيارو! أنت مجنون!
أنت تعلم بأنني أكرهه. هو يخيفني».

سرعان ما تبخر غضب بيارو. كان لطيفاً جداً
ليغضب لفترة طويلة. تنهد ودس ذراعه حول خصرها:
«أنا أعلم. أنا آسف، لكن لا تقلقي، الأمر
سينبع..».

عندما وصلا عند سفح طريق الجبل استطاعا أن
يشاهدا أن بوابات المدينة كانت مغلقة، كما هي دائماً
عند الساعة العاشرة. في السماء المظلمة كان الصليب
الفضي على الكنيسة يومض بلمعان. كان الهواء رطباً
وثقيلاً. لم يكن يسمح للسيارات داخل سان فولنكو..
الشارع الضيق الملتوية كانت منحدرة جداً. أوقفا
السيارة في موقف السيارات العام، تحت سقف مؤقت
مدعم بأعمدة خشبية. كان هناك حوالي دستة عربات
آخرى متوقفة هناك، بينها سيارة رولز فضية ملساء،

مؤرخي الفن تنازعوا حولها. بياتريس دي دروتسو، فنانة
سماوية رقيقة ذات شعر فضي ناعم وعيين زرقاوين
كبيرتين باهتين، وبشرة ناعمة براقة، وملامح ذكاء
بعيد، كانت واحدة من موضوع أكثر أساطير المدينة
شيوعاً. اماندا، كفتاة، كثيراً ما قيل بأنها تشبه الصورة.
أمضت ساعات تحدق اليها، عاجزة عن تصديق أنها
تشارك بهذا الجمال الرقيق.

عندما أخذَا يقتربان، كانت اماندا تزداد تأثراً. انفتح
عقلها الى احساس مندفع من الماضي. الذكريات
استحوذت عليها، أشياء اعتقادت أنها منسية.

على بعد خمسة عشر ميلاً أخفقت السيارة. كان بعد
ظهر يوم حار، وأقرب مرآب كان مفلاً لفترة القليلة.
وفي الوقت الذي تم فيه ايقاظ الميكانيكي، واقناعه
برؤية سيارتهما ومعرفة الغلل، كان الغسق قد هبط
سريعاً حولهما. ذهبَا وجلسا على جسر صخري قديم،
يحتسيا النبيذ المحلي العطر، ويشركان بتناول البيتزا
مع الأنسوا، والزيتون الأسود والبندورة. انهماك
الميكانيكي في تصليح السيارة في مرآبه.

«أنا سعيدة» قالت اماندا فجأة: «يا حبيبي، أنا
خائفة. ما الذي يتضررنا في فولنكو؟ أنا لدى.. تحذير
مبق..».

بيارو داعب خدها ياصبعله: «ام.. مثل الخوخ،

«هي مبللة حتى جلدتها» اعترض بيارو، ووضع ذراعاً سبعه واقية حولها.

الرجلان واجه كل منهما الآخر، وشعرت اماندا بالمواجهة كشيء طبيعي. يد بيارو انكمشت الى قبضة. شعرت بذراعه تتوتر حولها.

عندئذ استدار سيزار وقادهما الى داخل المدينة. ساروا صعوداً في شارع متعرج الى القلعة. الوجوه تلخصت من التواجد فوقهم، غاضبة، فضولية. عرف كل شخص أنهما وصلا. شعرت اماندا بأنها محتجزة في جو المدينة القديمة الذي انغلق حولها مرة أخرى. الآن تذكرت كيف شعرت، تماماً ما كان يخيفها دائماً. في خمس سنوات في انكلترا الانطباع تلاشى، لكنه الآن بعث حياً من جديد.. التهديد بالامتلاك، والدائرة السحرية للعائلة. وقعت في الشرك من جديد، وقد تم اصطيادها بواسطة افرازات عسل الحب اللذيد التي استعملت.

ارتجمت، وسيزار نظر اليها باختصار: «باردة؟» بدا صوته مألوفاً بغرابة. لماذا هي تتذكر جيداً تلك اللحظات القاسية؟

كان بيأرو خائفاً، اشتبهت، هو لم يساوم على
صمت سizar، وبرودته، وغضبه.
نظرت ورأت باباً خشياً كبيراً للقاعة يفتح لها.

سيارة مفخرة عرفت اماندا أنها ملك سizar .
صعدا ببطء طريقاً وعراً يؤدي الى بوابة المدينة .
فجأة تبدل الطقس . الرعد تحطم فوق الرؤوس ،
والصفاصاف في ضفة النهر تبعثر وتناثر في الريح .
عندئذ صبت الغيوم أمطاراً ، ملأت قاع النهر الجاف
بالمياه المتدفقة . يرق فضي شق الظلام .

«يا الهي» صرخ بيارو: «أي ترحيب هذا، يا حبيبي له».

ركضا، يلهثان، ويتزلقان، وأقدامهما عاجزة عن الوقوف على الصخر الذي بلله المطر. مبللة، ثوبها القطني الرقيق تقلص على جسمها، هرعت اماندا نحو السور طلباً للحماية بينما بيارو يغضب شد حبل الجرس. قرع الجرس بضجيج. مزلاج البوابة فتح. التفتت، ثم ففز قلبها الى حلقها.

رجل طويل، داكن السحنة، لا يتسم في قميص أبيض مفتوح عند الحلق، شعره الأسود يتدلى من المطر، نظر، متوعداً مثل أمير من عصر النهضة يواجه عدواً، وقد ترك سizar عيناه الفيقيتان تتحفظانها. كانت واسعة العينين، متحدية، شفافيتها تأكدت بخوفها وشعرها المبلل المتناثر في الريح.

ال حقيقي لمحبتها للكونتيسة ماريا فقط الآن التي تراها من جديد.

رافقها سizar بدون أي تعبر. بيارو كان يقبل العمة تيريزا، ويؤكدها بأنه أحضر هدايا لكل العائلة. عندما أطلقتها الكونتيسة، هرعت العمة تيريزا لتعانق اماندا. قصيرة، قوية، ذات شعر أشيب ارتدته بأسلوب لا عصر له، مجدولاً عبر رأسها في تاج صغير، والعمة تيريزا عانقت اماندا بحرارة.

«لكنك مبللة تماماً يجب أن تبدلي ثيابك! ستصابين بالتهاب رئوي اذا وقفت في هذه الثياب» عملية كعهدها، حتىتها العمة تيريزا باتجاه السلم. صعدتا الى منعطف مظلم عند القمة داخل رواق كبير. حاملة شمعداناً فضياً قديماً وجميلاً، العمة تيريزا قادتها لتصعد السلم. ضوء الشمعة أكل الظلام تدريجياً، وكشف عن السجاد القديم، المعلق على الجدران الحجرية الكبيرة، التي تحمي من الرياح. حدقت اماندا اليها وهي تعبر. لقد كانت مألوفة لها كوجوه العائلة.

ادركت اماندا فجأة أن سizar رافقهما. كان على بعد خطوة أو خطوتين، وجهه الأسمر حقداً. نظرت اليه بعصبية.

توقفت العمة تيريزا أمام باب، فتحته متحسسة، وأماندا أطلقت شهقة عندما ادركت أية غرفة أعطيت

شمعة ومضت. نظرت الى سizar، فشعر بنظرتها عليه فالتفت من جديد: «المولد تعطل لتوه» قال.

«بالطبع، انه دائماً يتعطل في العواصف» لقد بدا عملاً ودياً، وابياءة ترحيبة ومالوفة. لقد ذكرها بالألعاب طفولتها بضوء الشمعة في العواصف الأخرى، وبوالدتها، تريحها بأكل الفطائر في السرير، بينما وراء النوافذ الرعد يقصف والسماء مخططة بخطوط البرق اللامعة.

«اماندا! حبيبي! صغيرتي...» أسرعت انكونتيسة الى الباب، تردد اسمها بعنونة ثانية وثانية.

القت نفسها، نصف باكية، الى الذراعين اللذين امتدوا اليها، وكانت محامية بده، على الكتف العظمي.

كان ظهر الكونتيسة مستقيماً، وكانت الأرمدة أنيقة وغير متغيرة كعهدها. هي ستردي السواد حتى يوم وفاتها، لقد أحببت زوجها بشغف، وفي حالتها تقليد الحداد كان تعبراً حقيقياً عن الحزن.

الآن همست بلطف، وبمحبة وهي تداعب رأس اماندا المبلل: «لقد عدت أخيراً الى حيث تنتمين. كيف استطعت البقاء بعيدة هذه الفترة الطويلة، يا حبيبي؟ هنا وطني، ليس انكلترا؛ بيت العائلة، بيت القلب...».

«لقد افتقدتك كثيراً» تمنت، وشعرت بالعمق

لها.

اماندا وجدت الخزانة الصغيرة التي تحولت الى حمام خلال فترة وجودها هنا، فاستخدمت وارتدت احدى فساتين نومها اللندنية، كان وردياً باهتاً مطرزاً بيراعم ورد بيضاء وناعماً كصحابة وردية.

نظرت العمة تيريزا اليه باحترام عندما عادت حاملة صينية: «آه يا عزيزتي! لكنه دافيء كفاية هنا؟ هل نسيت، يا اماندا، كم يكون بارداً بين هذه الجدران الحجرية في الليل؟».

غضست اماندا في سريرها وابتسمت لها بمرح: «أنا دافئة مثل التوت!».

«آه، ما أجمل دم الشباب» تنهدت العمة تيريزا. وضعت الصينية على ركبتي اماندا: «شورباء، لفاف ساخنة. بعض السباغيتي اللذيذة وقهوة.. الآن، كلها كلها، والا فإنك ستزدادين نحافة وتهزلين أمام عيوننا. هكذا نحبلك أنت.. لكنك جميلة! أجمل من الزهرة. كم كان هذا سيسعد والدتك العزيزة لترك هكذا وهنا من جديد حيث تتمنين..».

العمة تيريزا لم تتزوج، وليس لديها أطفال، وهكذا كانت حياتها مكرسة لأبناء وبنات أخوتها. لديها بتر بلا قرار من الحب لعطيه لهم. بالمقابل، ربما كانت العضوة المحبوبة أكثر لعائلة دروتسو. حياتها العائلية كانت ايطالية محضة.. يحتاجونها باستمرار، ويقدرون

«غرفة بيتريس» تعجبت. هي كانت دائماً تنام في واحدة من الغرف الصغيرة عندما أقامت هنا.

نظرت العمة تيريزا الى سizar بعصبية. عيناه الخضراءان كانتا تراقبان اماندا. كانتا ترمي مسان بالسخرية. رأت أنه كان قراره بوضعها في هذه الغرفة، وهي عرفت لماذا.

بيتريس، الفتاة في لوحة توسيللي، كانت مخطوبة الى دروتسو في عصر النهضة، كونت سابق لسان فولنكو، وقبل زواجهما وقعت في غرام أحد فرسانه. الأسطورة كانت غامضة من تلك الناحية.. رواية واحدة من القصة تقول أنها تزوجت الكونت، وهجرت عشيقها، وحملت له ثلاثة أبناء وابنة. رواية أخرى، أكثر شيوعاً، وأكثر مأساوية، تقول أنها قفزت من شرفة هذه الغرفة بالذات متصرحة، وسقطت الى قاع الوادي المتواحسن.

اماندا التقت نظرة سizar المتوعدة بشجاعة. اذا كان يعني أنه يريد أن يشعرها بالتهديد فإنه يضيع وقته. الأساطير الميلودرامية لم تعد تؤثر فيها.

«يجب أن تأخذني حماماً وتذهبني الى الفراش» أمرت العمة تيريزا. أضاءت شمعة كانت جاهزة على طاولة بجانب السرير، وابتسمت لأماندا وتركتها.

باستمرار مساهمتها للعائلة.

عندما أكلت أماندا وجبتها، العمة تيريزا أخذت الصينية، وقبلتها ليلة سعيدة: «الآن، لا تقرئي لفترة طويلة جداً لقد قمت ببرحالة طويلة. أنت بحاجة للنوم».

أماندا قرأت لفترة، ثم طائعة أطفأ شمعتها. بعد لحظات سمعت المطر يتوقف. خرجت إلى الشرفة خارج نافذتها لتحقق فوق الوادي المظلم. السماء لا تزال ملبدة بغيم العاصفة السوداء، القمر يطل بخفوت، ويطلق نوراً شاحباً.

شرفة أخرى تجري تحت شرفتها. فجأة اشتعل عود ثقاب. شمت رائحة الكبريت، وشاهدت وهجاً قصيراً من اللهب. فضولية بشكل لا يتحمل، تلصقت فوق الدرابزين لترى غرفة من تحتها، نسيت ترتيب الغرف في السنوات الماضية.

وجه سizar تطلع إليها. كان يتكئ على درابزين شرفته، سجائره في يده، وخيط من الدخان يلتف صعوداً باتجاهها. عند هذه الزاوية هو لديه قوة مضغوطه للجسم، حتى ملامحه كانت أكثر حقداً. تأمل كل منها الآخر في صمت. تعجبت إذا كان يستطيع سماع ضربات قلبها.. لقد بدا لها بأنه يدق كالطبل.

عندئذ بنعومة، وبارتعاش قال: «كوني حذرة، يا أماندا. تذكرني مصير بيتريس...» نظر إلى أسفل، ثم إلى أعلى ثانية، والتوت شفته: «انه طريق طويل إلى قاع الوادي».

توقعـت أماندا أن تنام متزعجة قليلاً في هذه الليلة الأولى في سان فولنـكو، لكن في الحقيقة كان نومها عميقاً ومليناً بالأحلـام، لكن عند الفجر ذعرت لستيقظ على طرقة خفيفة على بـاب غرفة نومها، مثـابة، جلست وحدقت غير مصدقة إلى الساعة بجانب سريرها. من يستطيع أن يوقظها في مثل هذه الساعة؟.

«أدخل» نادـت، متـوقـعة أن ترى العـمة تـيرـيزـا مع كـوب من القـهـوة السـاخـنة. دفعـ الـباب وفتحـ بـطـء وـسيـزار انـكـأ على بـروـاز الـباب. العـينـان الثـقـيلـات الجـفـينـ تـفحـصـتـها. مـسـيـقـة بـسرـعة سـأـلت: «ما الأـمـر؟ ماذا تـريـد؟».

لـلحـظـة استـمرـ يـتأـملـها بـصـمتـ سـاخـرـ، مـتـفـحـصـاً عـلـى رـاحـته شـعـرـها الأـشـقـرـ المـفـوشـ، وـكتـفيـها العـارـيـنـ، وـقـبـصـ النـوم الـوـرـديـ الشـفـافـ الذـي تـرـتـديـهـ. ازـدادـت سـخـونـةـ خـدـيهـ، وـغـطـسـتـ منـ جـدـيدـ تـحـ الشـراـشفـ، وـسـحبـتـهاـ إـلـىـ حـلـقـهاـ.

ضـحـكـ بـخـبـثـ: «هلـ نـسـبتـ أـنـتـيـ أـركـبـ الحـصـانـ عـنـ بـزوـغـ الضـوءـ؟ لـقـدـ أـسـرـجـتـ الفـرسـ فـيـسـتاـ. أـعـقـدـ أـنـكـ قـدـ تـرـغـبـينـ فـيـ المـجـيـءـ كـمـاـ اـعـتـدـتـ دـائـماـ أـنـ تـفـعـلـيـ...».

زاوية من غرفة النوم. ثياب الركوب كانت هناك، كما قال مطوية ب أناقة في ورق ناعم ومعطرة.

لتسليتها كانت مناسبة تماماً لها. وجدت قميصاً قطنياً أبيض له عنق بولو، فارتديه ووقفت تتأمل نفسها في المرأة. شعرت فجأة أنها ابنة الثامنة عشرة التي ركبت فولنuko فيستا فوق السهول تحت المدينة المسورة مشطت شعرها، وهرعت إلى فناء الأسطبل، أخذت السلم الخلفي بحكم الفطرة، بمعدل درجتين في كل مرة، تماماً مثلما كانت تفعل دائماً. كانت درجات خشبية قديمة مشقوقة، تجوفت في الوسط بواسطة أقدام الأجيال. تؤدي إلى المطبخ ومن هناك إلى الأسطبل.

الخدم، بالطبع كانوا يعملون. كانت انطونيا تلف بمهارة عجيبة الخبز إلى لفائف على هيئة طوربيد. وكان ساندرو يخرج اللحم من الفريزر... . جيد منذ زمانها، لاحظت أماندا. هذه التغييرات الطفيفة خطرت لها بوضوح لأن أشياء عديدة بقيت هي نفسها.

جيوفينا كانت تتمتم وهي تعد طعام الفطور، بيديها الماهرتين والسريعتين. نظرت حولها وابتسمت: «بونجورنو، أماندا! أذن أنت هنا» ثم غمزت: «أنه بانتظارك. أسرع!.. أنت تعرفين كيف يكون إذا ترك متضرراً آه، النمر فيه عندئذ يزار!».

توقفت أماندا لتقبل خديها الذابلين، وابتسمت إلى

«فيستا!» أعطيت فيستا فولنuko في عيد ميلادها السادس عشر، ومن البداية كانت هناك مودة حميمة بينهما. الفرس الرمادي المرقطة لديها طبيعة لطيفة، لكنها مزعجة. أماندا كانت تحبها كثيراً.

«من الذي ركبها منذ أن رحلت؟» سالت الآن، آملة أن يكون شخصاً يفهم طبيعة فيستا المعقدة. قد يكون مأساوياً إذا الفم الناعم للفرس قد أتلف بطنعات فارس لا يرحم.

«أتينا تخرج بها كل صباح» أخبرها سizar. دار على عقبيه: «سأكون في فناء الأسطبل. سأنتظر لمدة خمس دقائق».

أماندا قفزت من السرير، ونسقت أنها نصف عارية، وركضت خلفه: «لكن ماذا سأرتدي؟ جيزي؟». استدار وسمع لعينيه الباردتين بالانحراف فوقها من جديد: «ثيابك للركوب هي في الصندوق» قال باختصار.

كانت مندهشة: «ثياب ركوب القديمة؟ هي لا تناسبني، يا سizar!».

«هراء» قال: «من النظر إليك أستطيع أن أقول أنك لم تكتسي بوصة واحدة في أي اتجاه. لقد كنت دائماً فتاة صغيرة مزعجة نحبلاة سيئة التغذية».

غادر الغرفة وفتحت الصندوق القديم الذي يحتل

في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر استورد الجندي الأكبر لسيزار بعض الخيول الانكليزية، ستة فراسن وفحل واحد، منها تناولت للسرعة والقوة، ويعرضها باستمرار في معارض الخيول الإيطالية الشائعة. حلمه، عرفت أماندا، كان أن يأخذ خيوله إلى إنكلترا يوماً ما لكسب الكؤوس العالمية الشهيرة التي تقدم في المعارض العالمية للقفز. الاستطارات كانت محاطة بالورود، ومكاتبها تعرض صفوياً من الكؤوس الفضية والميداليات.

اليوم كان راكباً على فيثا فولنكو، فحل أسود طويل ذو عرف متذبذب كثيف وعين متغطرسة متذرعة التي كانت تسليها لأنها تحمل شهباً خافتاً لملاحم سizar.

هي كبرت مع هذه الخيول. عرفت شجرة نسبها مثله هو، وركبت معه من طفولتها. جلوسها الجيد الطبيعي والخالي من الخوف نالاً استحسانه. بيارو لوث سمعته في سن السادسة بالبكاء ورفض الركوب بعد سقطة، لكن أماندا، رغم أنها كانت طفلة في الخامسة عندما سقطت لأول مرة، لكنها بدت غير مكتئفة لها. بالنظر إلى الوراء، اعتبرت هذا نقصاً في الخيال بدلاً من الشجاعة الحقيقية. لم يدخل رأسها أنها قد تصاب بشكل خطير عندما تقفز فوق سياج. هي فقط اتبعت يقظة سizar، وفازت فوق كل سياج جاء في طريقها،

ساندرو وانطونيا وخرجت مسرعاً.
كان يدخن سيجارة، ويهدق بعيداً عنها، وملامحه تتفاصل. وقت ترافقه بعصبية، كان حيوياً أنه يتوجب على سizar أن يقبل زواجه من شقيقه. بدون موافقته الودية العائلة ستتشق إلى فريقين. هي لا تستطيع أن تفكّر بأن تكون السبب في مثل هذا الانقسام في العائلة. نوعاً ما هي عليها اقناعه بالموافقة على الزواج.

الفت ورأها. شيء ما التهب في العينين الخضراوين. القى سيجارته ودارس عليها بقسوة: «هيا بنا، اذن!» كان صوته حاداً.

سارا تحت قنطرة حجرية يعلوها ذكر ظبي حجري القط في مطاردة، وقدماه الأماميتان مرفوعتان. متبعان الطريق الملتوى إلى بوابات المدينة بما اجتازا الناهضين باكراً الذين حدقوا اليهما خلسة، ممثلين باهتمام متواتر لكنه ودي كفاية ليدعوا عكس ذلك. البوابات فتحت لادخال المؤن الغذائية الصباحية من السهل؛ فواكه، حليب، بيض، وخضار أرسلت من الحقول المنبسطة التي يرويها النهر خلال الموسم الممطر. خلال عز الصيف، يجف قاع النهر، لكن قرونًا من الري جعلت السهول خصبة. اليوم، بعد أمطار الليلة الماضية، الضفتان كانتا تقعان فوق مياه صفراء موحلة.

اماندا.
نظر اليها سizar مستعماً.
«فيستا لا تزال نفس المخلوقة المزعجة اللعوب مثلما كانت دائمًا» شرحت.
«هي أنتي نموذجية» قال سizar، وعيناه أطلقتا تسليمة جافة.
الكرم تمتد على يمينهما الآن، والمراعي التي جفتها الشمس على يسارهما. الحيوانات كانا متشوقين لتمديد سيقانهما في الجري.
«دعيمها ينطلقان» قال سizar فجأة.
انزلت اماندا يديها وفيستا انطلقت في أثر فيقا، عنقها الرشيق تقوس، وعرفها يتغایر في ربع حركتها.
سان فولنكو امتدت خلفهما. وعندما استدارا شاهدتها ترتفع من السهل أشبه بقمash أسود للوحه من عصر النهضة. توقف سizar وجلس يتظاهرها. قميصه مفتوح على عنقه الأسمر، شعره الأسود يضرب مع الريح في فوضى جذابة.
«كان ذلك جيداً» قال راضياً. عينه استحسنت أسلوبها حالما انضمت اليه، راكبة بسهولة، في صلة كاملة مع فرسها.
«أنت لم تفقدي لمستك، حسبما أرى. هل ركبت كثيراً في لندن؟».

وسمحت لفرسها باستعمال حاسته الجيدة الخاصة اذا هي رفضت أي شيء اعتبرته عالياً. عرفت أن والديها كثيراً ما قلقا عليها لرکویها الجريء، لكن سizar كان يشجعها، مسروراً بمهاراتها وجرأتها. عندما أعطاها فيستا فولنكو حتى الكونتيسة ذعرت، لأن الفرس تساوي ثروة، لكونها واحدة من أفضل الأفراس أصالة، لكن بالطبع لا أحد في سان فولنكو يتحدى قرار الكونت.

ربتت الآن على عنق فيستا الرمادي المالس، وقالت: «يجب أن تكون تينا جيدة مع الخيول. فيستا شديدة الحساسية للمسة كما اعتادت أن تكون!». «تينا فارسة ماهرة» أجاب.

أطلقت اليه نظرة مغناطة، متذكرة تينا بخقوت، مخلوقة خوخية البشرة تصغرها بثلاث سنوات، ذات شعر أسود حريري وعيينين سوداويين، وجمال لاتيني حقيقي. هل كان سizar مهتماً بها؟ تعجبت اماندا.
«تينا جميلة جداً، اليه كذلك؟» سالت.

أدأر عيناً خضراء باردة: «جداً». بدأت فيستا تحف بطريقة مؤذية باتجاه فيقا، وذيلها يلوح، وتقوم بصوت صهيل أشبه ببقبة ضحكه غريبة. استدار فيقا وأظهر أسنانه الكبيرة في ايماءة مخيفة، وفيستا تراجعت بسرعة وادعت الخضوع. ضحكت

الوضع.

عرفت تينا على الفور، بالطبع. الفتاة كانت قد كبرت خمس سنوات، لكنها لا تزال في ذروة جمالها الناضج. كانت ترتدي جيزة أزرق ضيق جداً، قوامها المثير أكد جمالها ولم يترك مجالاً للخيال. كانت ابنة انطونيا وعاشت دائمًا في القلعة، ونشأت مع أطفال الكونتيسة لكنها لم تكن عضوة من العائلة، بالطبع. فتاة هي كانت صعبة وثورية. نضع جمالها باكراً، والنصارة الذهبية للسادسة عشرة غادرت عندما بلغت سن الرشد.

«فيستا هي فرس اماندا» أخبرها سizar بحزن: «أنت تعرفي ذلك» ألقى اليها لجامه ونزل.
«خمس سنوات بعيدة، لكنها ما زالت تمتلكها؟» سألت تينا بوقاحة.

«هي لأماندا» كرر سizar بهزه كتف: «ألق نظرة على العرقوب الخلفي الأيمن لثيقها. لمسة من مشكلته القديمة، هذا ما أخشاه».

هلعت اماندا بهذا السلوك الأنورقاطي. أطلقت الى تينا ابتسامة اعتذار قلقة والتفت لتتحدث مع سizar، لكنه كان قد هرول باتجاه القلعة. التفت وأشار بأصابعه اليها: «هيا تعالى!» كانت اللهجة حاسمة، فركضت خلفه.

«لقد ركبت بعض البواني في اسكتلندا السنة الماضية» قالت.

«على سبيل المرح!» سأل.
تذكرة اماندا الشاب الذي كان رفيقاً الدائم، وبقايا ابتسامة على شفتيها: «مرح عظيم» قالت.

جاجيا سizar راوغا صعوداً، ونظر بقصوة اليها: «لقد فهمت» قال، عيناه غامضتان يبرود.

بدأت تذكر أنه بالأحرى كان هناك المزيد لسizar أكثر مما أدركت في السن الغض للثانية عشرة. لديه طريقة لقول أشياء هي وجدتها مربكة، رغم أنها لم تستطع أن تضع أصبعها على ما وجدته بالضبط محذراً.
رکبا عائدين باتجاه المدينة. اماندا بدأت تتعب، رغم أن هذا كان بداية خاصة بالأناشيد للنهار. كان هناك احساس هائل بالحرارة عندما كانا طائرين عبر السهل باتجاه الضباب الأزرق للجبال. تذكرة صبايحات عديدة عندما كانوا يعودان هكذا، صامتين وقانعين.

عندما عادا الى الاسطبلات كانت فتاة تنظف سرجاً في غرفة الأسرجة. خرجمت، وقطعة نحاسية في يدها، وشفتها السفلية المكتنزة تتجهم.

«الم اذا هي تركب فرسني؟» سألت سizar.
نزلت اماندا عن صهوة فيستا، تاركة سizar ليعالج

كان اقتراحه معقولاً تماماً، لكن لماذا يجب عليه أن يصدره في ذلك الصوت الأمر، متاكداً بأن الطاعة يجب أن تلي؟ انه يجعل المرأة يشتفق الى العصيان، مهما كان بمحنة، حتى أضعف شخص، فكرت اماندا، يجب أن يشتفق الى الثورة.

قدم الفطور كما يقدم دائماً في غرفة صغيرة براقة تطل على الحديقة. أصص الجيرانيوم وفدت على طول حافة النافذة، أزهارها البنفسجية لامعة فوق الطين. أشعة الشمس تناسب فوقها، تملأ الهواء بغيار ذهبي. العائلة جلست حول طاولة مصقوله طويلة عالية. لقد دخلوا معاً، سيزار خلف اماندا بقليل، والعائلة نظرت اليهما.

رفعت الكونتيسة ماريا خدها المالي لقبلة الصباح، وجهها مليء بالقناعـة. شعرت اماندا بتأنيب ضمير حالما رأت تلك النظرة.

«هل استمتعت بركوبك؟».

اماندا أراحت خدها على الرأس الأسود: «كان عظيماً! لقد نسيت كم هو جيد النهوض باكراً في الصباح والذهب لركوب الخيل. رائحة الهواء كانت عذبة والعالم بدا أكثر جمالاً. أنا الآن جائعة.. أستطيع أن أكل حصاناً!».

«حصان؟» بدت الكونتيسة ماريا مذعورة، ثم

كان هذا هو كيف هي تذكرته.. ديكناتوري، مهممن، طاغية!.

لقد كان طبيعياً أن تتحقق تينا من زعم اماندا بملكية فيستا. لخمس سنوات هي بدون شك ركبت الفرس واعتبرتها ملكاً لها. الآن الفرس تؤخذ منها فجأة، وتينا توقعت أن تبني أمراً واقعاً.

عندما لحقت بسيزار سالت بحرارة: «هل كان من الواجب أن تكون هذه الوحشية مع تينا؟».

«تينا هي فتاة اسطبلي. يجب أن تتعلم كيف تحفظ لسانها وتعلم حسب أوامرني» قال بسرعة.

«أنا لا ألومنها على الانزعاج» بدأت اماندا من جديد. «أنت لا تعرفين شيئاً عن الموضوع» قال: «كوني هادئة».

شهقت في ثورة. كيف يجرؤ على التحدث اليها هكذا؟ كان أمامها من جديد، يسير بخطى رشيق، كحيوان بري يتجلو في دغل مظلم، رأسه الأسود يرتفع عالياً، ويميل عندما ينظر الى أعلى. كونتات فولنكتو جميعهم سكروا في نفس القالب.

توقف وفتحت فمها لتبدأ في الجدال من جديد، لكنه تكلم أولاً.

«يجب أن تكوني جائعة. ~~الذهب~~ يديك وسنذهب لتناول طعام الفطور».

تابعت العائلة وجنتها، بيارو حرك قهوة وشربها،
مراقباً شقيقه من فوق حافة كوبه. يقعنان من حرق أحمر
في وسط خديه.

قال فجأة: «أماندا وأنا نرحب في الزواج هذا
الصيف».

خيّم الصمت عند القاء هذا القفاز. قضم سيزار في
لغافة حرك قهوة أيضاً، وعيناه مثبتتان على ملقطه. كل
شخص جلس كالتمثال بانتظار ردة فعله، مراقباً أية
طريقة سيقفز بها النمر.

«بيارو ليس في مركز يسمع له بالزواج» قال أخيراً،
في صوت هاديء موجه بحدة الى اماندا: «لم يؤسس
نفسه بعد، هذا ما أخشاه».

نظرت اماندا الى بيارو. كان يحدق بثبات الى
شقيقه، وعيناه ضاقتان. تلعم عندما أجب، وفقد
سيطرته على أعصابه: «أنا.. أنا أفضل شخص للحكم
على ذلك، على ما أظن. اذا أردت الزواج، فسافعل،
ولا أحد يستطيع أن يو.. يوقفني» ضحك سيزار.

الصوت كان أشبه بسوط لسع وجه بيارو. لقد جعله
يبدو شاحباً ويرتجف. الاحتقار كان لا يحتمل. بعد
لحظة وقف، وكرسيه يصرّ على الأرض.

رفع سيزار عينيه الخضراوين، عندها، ونظر ببرود
الي شقيقه: «أجل».

ضحكت: «أوه، نكتة انكليزية! مضى وقت طويل لم
نسمعها! اجلي، يا حبيبي. اللفائف لا تزال دافئة،
وج giofita أرسلت مربى الكرز المفضل لديك، أفضل ما
عندناها. هذه السنة ستكونين هنا من جديد لمساعدتها
في صنعه، ذلك سيجعلها سعيدة جداً. كل سنة هي
تنهد لغيابك عندما تصنع مربى الكرز. انه يذكرها
بك».

نهض بيارو وسحب كرسياً، لكن سيزار، متجاهله،
جلس اماندا بجانبه بحزن.

تورد خدا بيارو السماوان، وكل شخص آخر حدق
إلى طبقه. كانت اماندا بكماء بارتباك مشوش. أطلقت
إلى بيارو ابتسامة قلقة، متسللة له ليفهم لماذا هي لم
تتخاصم مع شقيقه.

قدم لها سيزار سلة من اللفائف، ملفوفة في فوطة
من الدمشق الأبيض. أخذت واحدة، نظرتها معايبة. أعاد لها نظرتها
بلطف: «مربي؟ زبدة؟».

تقبلت كليهما وبدأت تأكل. سيزار صب لها القهوة،
ثقبة وعطرة، من ابريق فضي ضخم واقف في وسط
المائدة. متاع عائلي، كان مسحوقاً، صقل بطريقة
محببة حتى الحفر الجميل كان غير منظور تقريباً، وفي
استعمال يومي. لا شيء هنا كان فقط للعرض.

«يجب أن أنزل إلى الهرمة لرؤيه سبونيللي» قال سيزار، وأنهى فهوه بجريدة واحدة: «عزيزي، أمي.. من الأفضل أن تبتدئ بالتفكير بثبات الزفاف، أيه؟ ذلك سيعطيك شيئاً ما تفرجين به!».

نزل، حدقت أماندا إلى الباب المغلق. سizar في الواقع سمح ليارو بتحديه وأخل الميدان لشقيقها لقد كان أمراً لا يصدق لدرجة أنها نظرت حول المائدة لترى إذا كانت هي قد تخيلته.

شاهدت ملامح الذهول على وجه كل شخص. حتى ليارو بدا غير مصدق بعذر. لقد كانت المرة الأولى، اشتبهت، التي ربع فيها جدأً مع شقيقه.. كان سizar ميالاً للسماع بمعارضة ارادته. طبيعته الأوتوقراطية حرمتها. كان معتاداً على اصدار الأوامر وتلقى الطاعة. كانت الكونتيسة ماريما تبدو حزينة، وأماندا لاحظت ذلك بأسى. شعرت بالذنب. هي الآن مزجت جرجها بخطوبتها إلى ليارو. ذنبها كان أقوى الجميع لأن العلاقة بينهما كانت دائماً قريبة. هناك محبة تتفرع عن عرى الدم. لأن حب الكونتيسة كان محسوساً تجاه والدة أماندا، وأماندا دائماً اعتبرت الكونتيسة كأم ثانية. وضفت يدها بلطف على أصابع الكونتيسة: «أنا آسفة لأن عودتي سببت مشكلة».

«ليست عودتك، يا طفلتي العزيزة. نحن جميعاً

بيارو وقف في أرضه: «أنت لا تستطيع أن تصدر لي أوامر في تلك النغمة من الصوت، يا سizar. أنا رجل بالغ الرشد الآن. أماندا تحبني وهي ستكون زوجتي». كان هناك صمت آخر، مشحوناً بالكهرباء. الكونتيسة نظرت إلى كل من ولديها في ألم، وعوضت على شفتيها.

حدق سizar إلى بيارو: «هل هذا هو مكان لمثل هذا النقاش؟».

«يجب تسوية الأمور الآن» أصر بيارو. بدا أكثر هدوءاً الآن. لم يعد يتلعم وبدأ أقل قابلية للعطب لتوبخ سizar القارص.

«حسناً، حسناً، حسناً» زمجر الشقيق الأكبر: «اذن هذه النعجة الصغيرة ستتحول إلى ثور؟» بدا متهكمًا. عيناه الخضراءان قاستا بيارو وتلقتا تحدياً بالمقابل. التوتر حول المائدة أخذ يخف بشكل ملحوظ. الكونتيسة أطلقت نفساً مكبوتاً في تنهيدة.

«اجلس، يا بيارو. أنت لا يمكنك أن تصرخ على هكذا على مائدة فطورى» قال سizar بخفة.

بامتناع، جلس بيارو. رفعت أماندا الإبريق الفضي، وجعلت لوزنه الذي لم تذكره، وصبت له كوباً آخر من القهوة، ودفعته باتجاهه مع ابتسامة ملطفة. سizar راقب هذا بالتللاع مع ابتسامة قصيرة خاصة به.

سعداء لنراك تعودين الى سان فولنكو».

«انها خطوبتنا» قال بيارو.

الكونتيسة جفلت من التصريح الوحشي. تنهدت، وكتفها الرقيقان ارتفعا في ايماءة لاتينية من الندم، ابتسمت اماندا اليها.

«سيزار سيتنازل» أراحتها.

الكونتيسة بدت مرتابة: «انه كبرياوه، كبرباء آل دروتسو. انه لا يلين».

«بعد خمس سنوات بكل تأكيد هو لا يستطيع أن يبقى حانقاً من رفضي!» تمنتت اماندا.

«خمس سنوات أو خمسون سنة! الزمن لا معنى له في هذه الحالة» قالت الكونتيسة.

«بيارو وأنا..» بدأت ايماندا.

«يجب أن تكونا صبورين» الكونتيسة أنهت لها جملتها.

القلعة والمدينة حيكتا في وحدة واحدة بواسطة العائلة.. معظم الناس من سان فولنكو كانوا، مع ذلك عن بعد، متصلين بواسطة الزواج. الكثير من التزاوج الداخلي من هنا في القرون الماضية. فقط مؤخراً كان الغرباء مقبولين. انتشار السفر الجوي، ووصول السائحين، والتغير في الأحوال المعيشية بوجه عام بدأت بتغيير فكرة الحياة كما رأها الناس، مع ذلك

استطاعوا لغاية الآن التعلق بمقاليدهم.

شعار المدينة كان محفوراً في الخصر فوق البوابات القديمة. كطفلة كثيراً ما حدقت اماندا الى الكلمات اللاتينية وتعجبت منها. سيزار ترجمها لها بصوته العميق: «في الحياة، اخلاص. وفي الممات، اخلاص» عندئذ سألهما: «هل تستطيعين أن تفهمي معناها، يا اماندا؟».

عبست، ووصلت الى الفكرة، جادة مثله في كل شبابها.

«أعتقد ذلك، يا سيزار. يجب أن تكون مخلصين في الحياة أو الممات؟».

فتح وجهها الصغير الناعم بعينيه الخضراوين الباردتين، ثم أطرق برأسه علامة الرضا.

وهكذا عندما سارت اماندا عبر الشوارع الضيقة المترعرجة بعد ظهر ذلك اليوم، مع بيارو، هي لم تندesh من التحفظ الذي قوبلت به، والتبعاد الذي عرفته عندما يستغل غريب بابتسامتهم الودية. عدم استحسانهم كان يعبر عنه بخبث. الابتسامات لم تكن تصل الى تلك العيون السوداء الحذرة، وتحياتهم كانت غامضة، مظللة من المودة الى عدم الاستحسان. شعر الناس أن اماندا كانت تخدع الكونت. هم عرفوا، كما عرف كل شخص في المدينة، أن سيزار كان قد طلب

الذى تعينه؟ أنا لا أفهم». عادت الى الايطالية: «انهم يكرهونى». «كان من الواجب أن تزوج في انكلترا» قال بارتعاش، بدون أن ينكر اتهامها.

«نحن لا نستطيع!» تحرر اماندا في انكلترا لم يذهب الى الحد الذي يسمح لها بالأخذ بعين الاعتبار مثل هذا التخدي للعائلة. تطلعت اليه بكآبة: «هم ما كانوا ليصفحوا عن ذلك».

بدا بيارو يائساً: «ماذا ستفعل، يا حبيبي؟ وجه سizar عندما وصلنا! أنا لم أشتبه به» التقط أنفاسه ثم اطلقها بهزة كتف: «الم يخطر بيالي بأنه لا يصطمع أن يزعجني أكثر! لقد اعتدت بأنه قد نسيك، وأنه حتى ربما ارتاح عندما ابتعدت عنه. هو نادراً ما ذكر اسمك منذ أن غادرت» نظر الى الأسفل، عيناه الضيقتان تحسان عينيها: «اماんだ، أخبرني الحقيقة الآن. هل يحبك سizar؟».

«لا، لا!» كررت، توردت أولاً، ثم شحيبت، وأنفاسها فجأة آلت رثيها: «بالطبع لا! لقد كنت على حق عندما سمبتها مسألة واجب عائلي. أنت تعلم أن والدتيما كانت دائماً تمنيان ذلك، وتحدثا عنه كثيء متوقع. لقد كان صدمة لي. أنا كنت صغيرة جداً لاستمع اليهما، لكنني بعد ذلك أدركت أنهما كانتا دائماً

الزواج منها. عرفوا الأحلام التي رعتها كل من الكوتنية ووالدة اماندا. في عيون المدينة كانت اماندا مخطوبة لسيزار ولذلك هي لا تستطيع أن تكون لشقيقه بيارو.

عندما عادا الى القلعة قادها بيارو الى حديقة مسورة تقع داخل المبنى، حظيرة صغيرة بنيت في زاوية حائط له فوهة تطل على الوادي. عدة صناديق أشجار صنعت ظلاً جميلاً فيه كثيراً ما نساء البيت أتين للجلوس تحته مع خياطهن. رفوف صخرية طويلة احتوت على الجيرانيوم، والبانسيه، والقرنفل، والبيتونيا، وأزهار أخرى ملونة بمرح. النباتات المتسلقة دست نفسها على طول الجدران مما شجع الطيور على الجثوم والتغريد بين أوراقها.

شدّها بيارو نحوه: «يدو أنه قد مرت مائة سنة منذ أن كنا لوحدهنا».

«يا بيارو، هل كان لديك شعور بأننا لم نكن مرغوبين هناك؟».

حاولت اماندا أن تضحك، لكن ذلك كان صعباً: «لقد كانت هناك أصوات باردة تسير صعوداً وهبوطاً على عامودي الفقرى في كل مكان سرنا فيه. لو أن النظارات كانت خناجر لسقطت على الطريق».

لغتها الانكليزية العامية تحاشته. عبس نحوها: «ما

تخططان له».

اذن 'ماذا هو غاضب؟' سأله بيارو.

«انه ربما كما قالت والدتك.. الكبرباء، كبرباء آل دروتسو. كان سيزار دائمًا متغطرساً، وحشًا لا يلين.. أنا جرحت كبرباء عندما رفضته، لأن أنا أعدت فتح الجرح بعودتي مخطوبة لك».

«من الغريب أنك لم تحبينه» قال بيارو بتفكير: «نصف فتيات المدينة وقعن في حب سizar واحدة تلو الأخرى».

«اعتقد أنني رأيته شقيقاً أكبر طاغية» هزت كتفها: «أنا كنت نصف انكليرية، أنت تذكر. أنا لا أريد أن أتزوج بدون حب. أنا بحاجة إلى استقلاليتي».

طوقها بيارو بذراعيه، وقبلها بيأس: «أنت لن تتزوجي بدون حب، أعدك. سizar لن يفرق بيننا. المدينة لن تقف بيننا».

اماندا تعلقت به، وشعرت بدهنه يغلفها كما تغلف الجدران القديمة التي قبلتها الشمس الحديقة.

فجأة انفجر ارتظام بجانبهما. قفزوا متباuginين، يرتعشان كثيراً ليدرك ما حدث للحظة. عندما شاهدوا وسمعا من جديد بصورة طبيعية جفل دماغ اماندا لادراك ما حدث. أحد أصص الأزهار الطينية تحطم بجانبهما على الممر. التراب والأوراق، وزهور حمراء تعثرت

بما يشبه الدم في شبه دائرة. عيناها المتسعتان ارتفعا ببطء. على طول شرفة غرفة سizar هناك صف من أصص الأزهار الطينية. كانت هناك فجوة تحدق في ترتيبها.

«هل هو وقع أم دفع؟» سألت بقهقهة نصف هيسبيرو.

«يا الهي، ربما قتلنا!» كان بيارو شاحباً جداً. اماندا لم تستطع التوقف عن الضحك: «من الواضح أن سizar حتى هو أكثر غضباً مما توقيعنا» قالت، عندئذ ارتجفت، وغضت وجهها ببديها في موجة من التكدر البارد: «أوه، بيارو! ماذا سنفعل؟».

بعد يومين، عاد بيارو الى العمل في شركة العائلة للنبيذ. لم يعد هناك موضوع اجازة بالنسبة اليه، فقد جعل سizar هذا واضحاً، وشرح بيارو لأماندا بأنه يعتقد من الأفضل عدم مجادلة شقيقه حول الموضوع.

«نحن سنظل نشاهد بعضنا كثيراً في المساء ونهاية الأسبوع» أكد لها.

«ماذا سأفعل خلال النهار، مع ذلك؟ يجب أن يكون لدى شيء ما يشغلني والا فإني سأصاب بالجنون. أنا لست معتادة على الكسل».

«أنت في اجازة!».

«أنا لست سائحة» ألمحت.

فأمي سوف تساعدك دائماً بهم. كم سيجعلها ذلك سعيدة! أنت تعرفين كم تحبك، وكم ستعتني بأطفالك عندما يأتونا! عيناه السوداوان عكساً لما مرتبكما: «لماذا تبدين هكذا غاضبة؟ لقد اعتقدت أنك تحبين أمي...».

«بالطبع أنا أحبها! لقد أحبتها دائماً! وسيكون مدهشاً أن تكون معي لتساعدني وتنصحني!» بدت فلقة عليه: «لكن مع ذلك، يا بيارو، أعتقد أنه يجب أن يكون لنا بيتنا الخاص. الاستقلال، والخلوة، وفرصة اتخاذ قراراتنا الخاصة... بيتك الخاص سيعطيك كل هذه الأشياء. نحن دائماً نكون هنا محاطين بالأشخاص في القلعة. هناك عيون وأذان في كل الجدران. أنا أشعر كأنني في حوض سمك. نحن لن نكون في الواقع لوحدينا» تمسكت به، ووضعت رأسها على كتفه، وهمست: «بيارو، الوضع يخيفني...».

«يخيفك؟ ما هو، يا حبيبي؟» بدا بيارو مرتبكاً تماماً.

«الا ترى؟ ألم تلاحظ؟ لا أحد هنا يأخذ خطوبتنا على محمل الجد. هم يهزاون بها، ويتجاهلون وجودها. أعتقد أنهم ينتظروننا لكي... أوه، أنا لست واثقة كيف أضعها، كيف أصفها... هم ينتظروننا حتى نعود إلى رشدنا، على ما أعتقد!».

«ساعدني والدتي، اذن» اقترح بيارو، عقله جزئياً فقط على الحديث بينهما.

«لا، اسمعني! جدياً، يا بيارو، أنا يجب أن أقوم بعمل ما! انه ليس لديك شعور كم سيكون مملاً عندما لا تقوم بشيء».

«لكن، يا حبيبي، هناك الكثير لقومين به في المنزل. النساء يعملن من الفجر إلى الغسق. سيكون هناك شيء ما لك لكي تقومي به».

اماندا، لم تعجبها الطريقة التي عادل بها النساء مع عمل المنزل. لا تزال، هي مستعدة للمساعدة في المنزل، عندما تدعى الحاجة، وهكذا هي أغفلت الموضوع.

«أين سنعيش عندما نتزوج؟» سالت بصورة عرضية. لقد خطر ببالها أنها قد يعيشان في أحد منازل المدينة، التي تقع في الطرق الضيقة باتجاه الأسوار، أسفافها معقوفة وأكل عليها الزمن، ونوافذها صغيرة بيضاء أو مدهونة باللون الوردي، وعليها صناديق من الجيرانيوم.

هز بيارو كتفيه: «لماذا، هنا، بالطبع».

«في القلعة؟» بدت مذهولة: «أوه، لا، بيارو!».

«لكن بالطبع في القلعة... هل هناك مكان آخر؟».

«أنا أريد منزلًا خاصاً بي» اعترضت.

«لكن هذا هو متزلي، وعندما يكون لدينا أطفال

«لا، لا» غردت جيوفينا زاجرة: «متعي نفسك طالما أنت شابة. حمام شمس في الحديقة، اذهب في مشوار، استمعي الى الراديو، الحياة قصيرة جداً» عندئذ أطلقت نظرة جادة الى ساندرو الذي، قدماه كانتا على الطاولة، كان يشخر تحت منديل أحمر كبير: «أيها الكسول الذي لا خير فيه، قم بعمل ما على سبيل التغيير! استيقظ.. أيها الوغدا! قم بعملك، أنت...».

خرجت اماندا، وذهبت تفتش عن عمتها فوجذتها في غرف النوم، تدقق بلائحة الغسيل: «لكي تساعديني؟ هل أبدو بحاجة الى المساعدة؟ أنت في اجازة، يا طفلتي. قومي بمشوار الى المدينة، ابحثي عن الصديقات القديمات، اركبي فرساً.. سزار سيجد لك فرساً لتركبها!».

«ركبت هذا الصباح» قالت اماندا.

الكونيسة نظرت اليها بحدة: «بالطبع، مع سزار! حسناً، قومي بتسليمة نفسك، يا عزيزتي».

«أنا ضجرة» تنهدت اماندا.

«آه، المرض الحديث!» الكونيسة لم توافقها: «عندما كنت شابة نحن لم نكن نشعر بالضجر. لقد كنا نعمل بجد بحيث لم يكن لدينا وقت للضجر، أو كنا ننعم أنفسنا».

«أنا أريد أن أعمل بجد» ألمحت اماندا: «بيارو عاد

أظلم وجه بيارو: «نعم» اعترف بثاقل: «لقد شعرت بذلك، أيضاً. لكنهم سيتنازلون!».

«لا» صرخت: «هم يعاملوننا بتسامح لطيف، كانوا مخبلان. هم واقعون بأن ذلك لن يحدث!». «اذن يجب أن نريهم كم هم مخطئون!».

انتقلت بعيداً، ترتجف: «انه سizar! هم يتخدون دليлем منه. هو يتخذ هذا الموقف، وهم جميعاً يسيرون في أثره. يعتقدون... صوتها تقطع؛ وشجب وجهها.

حدق بيارو اليها: «ما الذي يعتقدونه؟» عندئذ، بحكم الفطرة التقط معناها، فضمها اليه بتصميم: «لا تبني هكذا. هو لن يمتلكك. أنت لي الآن» عندئذ، بنغمة عنيفة: «أنا سأقتلك أولاً!».

ضحكـت: «أنا لست متأكدة بأن أجـد مثل ذلك اتجاهـاً مريحاً، لكنـي أحبـك، يا بيـارو...».

قبـلاً بعضـهما، وماـلا على بعضـهما كـطفلـين يـبحثـان عنـ الـراـحةـ.

فيـما بعد تـجـولـت اـمانـدا على طـول المـطبـخـ، تـتوـسلـ فـرـصة لـتـكـونـ نـافـعةـ. كـانـتـ جـيـوفـيناـ تـعدـ قـدرـاً كـبـيراً مـلـيـئـاً بـالـأـرـزـ؛ وجـهـهاـ يـقـظـ علىـ عـمـلـهـاـ.

«هل أـسـتـطـعـ أـنـ أـفـعلـ أـيـ شـيءـ؟» سـأـلـتـهاـ اـمانـداـ: «أـناـ مـخـتـلـةـ النـظـامـ. أـحـبـ أـنـ أـقـومـ بـعـملـ مـفـيدـ».

واحدة من الغرفة. كانت اماندا وافقة أنها سمعت شخصاً ما يتجلو فوق.

كما هو الحال مع معظم الناس في المدينة، غوييليو كانت له علاقات عائلية غامضة مع القلعة. اماندا عرفته طوال حياتها. عائلته تدير أضخم فندق في المدينة. شاب تحيل زيتوني البشرة، له عينان خضراء، نادرتان في العائلة، والشعر الأسود المعتاد.

«أه! أخيراً هي وعدت أن تبيعني هذا منذ فترة طويلة لدرجة أنني بدأت أعتقد بأنها لن تفترق عنه!».

يعتبر أزال اللفافة عن وعاء زجاجي كبير الذي عرفه اماندا بقدر كواحد من ارث العائلة. هل عائلة دروتسو بحاجة ماسة للمال لدرجة أنهم يبيعون مكتنزاتهم؟

وضعه غوييليو على طاولة طويلة، وتفحصه، ونقله هنا وهناك، حتى اقتنع: «هناك.. ذلك يبدو عظيمًا؟».

«غوييليو، لماذا الكونتيسة تبيعه؟» سالت اماندا اختيارياً.

هز كتفيه: «القد كان جزءاً من مهرها. انه لها، وليس ملكاً للكونت. اذا رغبت في بيعه، ذلك هو شأنها».

فجأة قرقة قدمين تهبطان السلم الخشبي وظهرت تينا. لمرة واحدة هي لم تكن ترتدي الجينز، بل ثوباً عجرياً مذهلاً مصنوع من الحرير الأصفر، ذو خصر ضيق ومنخفض.

إلى العمل وجيوبتنا لا تريدينني في المطبخ. هلا ساعدتني، يا كونتيسة؟».

تأملتها الكونتيسة: «أنا أعرف! يمكنك أن تأخذني لي رزمه إلى غوييليو».

كان غوييليو قد اشتري محل التحف الأثرية عندما باعه والد اماندا. غير نوع العمل كلباً في سنواتمنذ تسلمه. خفف عدد التحف الأصلية التي باعها، والآن هو متخصص في إعادة الانتاج، بدون أن يتزعزع بالتمييز بوضوح بين ما كان أصلياً وما كان نسخة حديثة. شاهدت اماندا بعض الأصناف في واجهته، التي عرفت بأنها إعادة انتاج، ولا تحمل علامة مميزة، والتي كانت أسعارها تفوق قيمتها الحقيقة.

توقفت اماندا لتحقق عبر الواجهة. دولاب حياكة مصقول، مزهرية نحاسية، وطاولة صغيرة ذات ثمانية أضلاع كانت المواد الوحيدة المعروضة اليوم. كانوا جميعهم إعادة انتاج وجميعها أسعارها مرتفعة بالنسبة للظروف، لكن كان عليها أن تعرف بأنها بدت جذابة جداً. غوييليو لديه موهبة لمثل هذه العروض.

جاء غوييليو من مؤخرة المحل لتحيتها مع كل اشارة من البهجة، مع أنه أحس أن وصولها كان في غير أوانه. حتى عندما قبّل يدها بشهامة ايطالية أطلق نظرة عصبية نحو السلم الضيق الذي يلتقي صعوداً من جانب

أنت مجونة لتجداني معها هكذا؟».

«أنا لا أخشى أن أقول ما بعقولي!».

«ستكون امرأة أخ الكونت، أيتها الفتاة الغبية!».

«أنا لا أنسى ما قاله الكونت عندما كتب بيارو يخبره بأنه يرغب في الزواج منها! قال لوالدته.. لن يحدث هذا مادام في عرق ينضم. إنني سرعان ما سأرني شقيقتي ميتا عند قدمي» عيناً تيناً ومضتنا نحو أماندا وهي تكرر الكلمات: «هذه الفتاة الانكليزية لن تتزوج من بيارو. هذا ما قاله الكونت».

استدارت أماندا على عقبها وخرجت، رافضة الاصفاء إلى غوبيليو عندما لحق بها، وهو يتمتم بالاعتذارات. الدموع لسعت مؤخرة عينيها.

حتى إذا لم تحسب بعض ما قالته تينا كثيث حقيقي، فهي عرفت أن بذرة الحقيقة التي تركت كانت كارثة. لقد كان سizar شعبياً. لا عجب أن راقبها الناس هي وبيارو بجحود حذر. جميعهم عرفوا من القيل والقال أن سizar كان ضد الزواج، وأنه أقسم بأن لا يسمح به.

بدون أن تكون شاعرة بما كان حولها عادت إلى القلعة، ولم تقابل أحداً في طريقها، وتسللت إلى الحديقة الصغيرة المسورة، وجلست على مقعد حجري تحت شجرة عليق متسلية، تسمع تغريد الطيور وترافق

كان عابساً، وقد احمرّ خداه: «آه تينا» تلخص: «لقد.. لقد كان لطفاً منك أن تقومي بالأعمال المنزلية لي...».

وقفت تينا كالمية لدى رؤية أماندا. تجاهلت غوبيليو لكنها انفجرت فجأة: «ما الذي تفعلينه هنا؟ تتجشبين على؟ حسناً، أيتها الآنسة، اثنان يمكنهما أن تلعبا تلك اللعبة! لقد اعتتقدت أن لديك ما يكفي من المشاكل ولن تطلبني المزيد!».

«كوني هادئة، يا تينا» قال غوبيليو بسرعة.

تجاهلت، وهزت كتفيها الجميل في إيماءة جعلته يتوجه: «هل تعلمين، أيتها الفتاة الانكليزية، ماذا فعلنا بالجواسيس منذ فترة ليس بالبعيدة؟ لقد صبينا الزيت المغلي في آذانهم وأسفل حلوفهم الخادعة لتعليمهم درساً!».

أماندا لم تستطع أن تتحمل.. انفجرت ضاحكة. التهديد كان حتماً ميلودراماتيكياً.

بدت تينا غاضبة. هي لا تتحمل أن يُضحك عليها، وضفت يديها على وركيها النحيلين بطريقة المرأة المسترجلة، وبتوبيخ رفقت عينها على أماندا: «الست أدرى ما الذي يرونـه فيك، رجال دروتـسو! أنت حتى لست جميلة بشـكل خـاص!».

غوبيليو أمسك بذراعها: «توقفـي، هل تـسمـعين؟ هل

ظل الأجنحة على الرصيف.

عيناها شعرتا بالثقل. أشعة الشمس كانت دافئة على وجهها، شعرت بشوق مفاجيء للعودة الى انكلترا، سالمة من هذه الاحبولة التي وقعت في شركها.

نوعاً ما عليها أن تقنع سizar بتغيير رأيه. عرفت أن الأمر لن يكون سهلاً؛ كان متكبراً ولا يلين. لكن يجب أن تكون هناك طريقة.

فيما بعد، بينما كانت تعبر القاعة الكبيرة، التقت سizar نفسه، وأوشكت أن تضحك بصوت عال عند تخيلها المتواحش. عندما كانت جالسة في الحديقة كانت تعصر دماغها لتفكير بطريقة لمداهنة سizar لكي يلين وها هو هنا بلحمه ودمه.

كان قذراً، غير مرتب، شعره الأسود يتسلط كتلة منفوشة على وجه ملطخ بالتراب والبقع الخضراء من الكروم التي كان يعتني بها.

تجاوزها باطراقة صامتة، ملامحه مجردة، لكنها بحافر أوقفته، ويدها لامست كوعه: «سizar، هل لي بكلمة معك؟».

بدا مندهشاً، كأنه قلما لاحظ من تكون: «ماذا، الآن؟ أنا يجب أن أغسل» ومد لها يديه لتزى الأوساخ عليها: «هل الأمر عاجل؟».

«ليس عاجلاً، لكن اذا كان لديك أي وقت..» بدت

مستسلمة بعذوبة.

أطلق عليها نظرة مرتابة: «في مكتبي بعد عشر دقائق، اذن».

راقبت اماندا ظهره المغادر بانتصار. هو فقط لديه فكرة، قبل أن تغادر إلى انكلترا قامت ببعض الترجمة في مكاتب الكروم. لو سمح لها سizar القيام بذلك من جديد، فهي ستعمل مع بيارو طول النهار.

لديه مكتب في زاوية أحد الأبراج. يقضي جزءاً من كل يوم هناك، يقوم بأعمال الممتلكات، ويجري بعض المخابرات الهائلية، ويكتب رسائل إلى كل أنحاء العالم. تدّة مرات في الأسبوع تأتي واحدة من النساء المحليات للقيام ببعض الأعمال السكريتارية له.

جلست في كرسي دوار خلف المكتب وأدارته بقدميها، تدور بمرح.

«أية طفلة أنت» قال صوته عند الباب.

ضحكـت عليه من فوق كتفها وانتابها شعور غريب أعادها إلى ذكرى مشاهدة بيارو وهي تركب حصانها في معرض الهرج والمرج في هامستير هيـث.

دخل الغرفة بنعومة ووضع يداً على الكرسي لا يقف تقدمه، واقفاً فوقها بطريقة جعلت شعرها يقف: «أخرجـي من هناك!».

«كرسي السيد؟» أجبـت، لتعـفيـمه.

«لا حاجة لك لكي تصرخي» أجاب بعد اكتئاف
مجنون: «أو أن تحدقي بتعدي».

تورد خداتها ونظرت اليه بكره. استخدم خدعة
قديمة، اذ سمح لها بالهجوم لكي يهزها، فشعرت
بالخمامقة.

«حسناً» سأل بتकاسل: «أي نوع من الوظيفة
تريددين؟».

«أعتقد أنك بحاجة لبعض الترجمة» قالت بسرعة:
«القد فعلت ذلك من قبل، أنت تتذكر».

«أنا أتذكر» قال: «حسناً.. الحاضري عندي غداً عند
الساعة التاسعة».

«عند الكروم؟» سالت بشوق.
«هنا» قال.

«أوه، لكنني اعتدت..» كانت مذعورة. هي دائماً
عملت في المكتب في الكروم نفسها. الكروم
والاسطبلات كانوا عملين منفصلين. العمل الذي يقوم به
سيزار هنا في القلعة كان أوسع، وأكثر اتصالاً بسان
فولنكو نفسها من الادارة اليومية لكلتا الشركاتين.

«أنا عندي مترجمة من قبل» قال بسرعة: «لكتنا
ستنظم عرضاً مسرحياً للاحتفال بلوحة بياتريس. ان
عمرها خمسماية سنة.. نحن فقط أدركنا كم هو
عمرها. نحن معتادون عليها هنا. لكن خبيراً فنياً حضر

«نعم» أجاب بجهاء.

أخذت وقتها في الانتقال، لكنه لم يعطها الوقت
للنهوض، أخذ الكرسي الذي تنازلت عنه، وراقبها وهي
تجلس على حافة النافذة، النافذة التي تطل على المدينة
التي أضاءتها الشمس. استطاعت اماندا أن تشاهد
منصات السوق، وتسمع صرخات البائعين عندما ينادون
على السائحين العابرين.

انكا سيزار بكونيه على المكتب، ورأسه منخفض
بين يديه، وحدق اليها بغموض: «ماذا؟».
«أريد وظيفة» قالت.

اهتز حاجباه معاً. لم يتكلم للحظة. العينان
الخضراءان تأملتها بتفكير. تعجبت بماذا كان يفكر،
وعرفت أنها لا تستطيع التفكير. سيزار مجھول،
وجامد! قارة غريبة، بعيدة وغير معقوله، موصدة للأبد
ضد عقلها المتحسس.

أخيراً قال بيظه: «هل تريدين وظيفة؟ ان كونك
زوجة ليبارو ليس كافيأ لك؟».

«أنا لست زوجته بعد».

تلوي فمه في ابتسامة غاضبة: «صحيح» تتمم، ولم
تعجبها الطريقة التي قالها بها.

«رغم أني بالطبع سرعان ما سأصبح» أضافت
مرغمة، في حال هو أساء فهم معناها.

إلى هنا منذ عدة أسابيع وأشار إلى قيمتها الثمينة وقد خطر لي أنه يتوجب علينا القيام بشيء ما للاحتفال بها. أنا سأكون بحاجة إلى مساعدة، وهكذا فإن عرضك جاء بوقته».

فتحت إماندا فمها لتعترض. كانت فكرتها هي أن تقضي كل يوم قرب بيارو، وفكرة تمضيته على مقربة من سizar كانت فكرة رهيبة. مع ذلك كيف يمكنها أن ترفض؟ لقد كان مساعدًا، وتجاوز عملياً لطلباتها للعمل. كيف يمكنها الآن أن ترفض القيام بما طلبته؟.

قبل أن تقوم بتصنيف أفكارها المشتتة رن جرس الهاتف. التقاطه سizar وأجاب، ثم انخفض صوته بتودد: «آه، حبيبي! هذه أنت. لقد كنت أمل أن تتصل بي» غطى السمعة ييد واحدة ونظر إلى إماندا بيرود: «أهذا هو كل ما تريديه؟ إذن سأراك غداً عند الساعة التاسعة».

طردت بمودة. تورد خداتها وشعرت كتلميذة تغادر غرفة المدير، فغادرت الغرفة. خلفها تكلم صوته باليطالية معسولة، ساحرة في كل مقطع. من كانت على الطرف الآخر من هذا الحديث المعسول؟ تعجبت.

قبل عشاء ذلك المساء سُنحت لها الفرصة للتتحدث مع بيارو وحيدين. جاء مسرعاً لمقابلتها، وكان قد أخذ دوشًا لنوه، وعطر ما بعد الحلاق يفوح منه، وعيناه

السوداوان متشوقيان.

«حبيبي، لقد كنت أتطلع إلى هذا اللقاء طول هذا اليوم...» اقترب منها وهي ذابت بين ذراعيه. وحالما أبعدها بعد قليلة، تنهى: «هل هذه تستحق الانتظار لأجلها؟».

«ماذا تعتقد، يا بيارو؟» عانقته: «لقد كان يوماً طويلاً جداً».

«وكذلك بالنسبة لي، يا ملاكي! عقلي لم يكن على عملي. عدة مرات زار سizar نحوى كالأسد». سizar... التقطت أنفاسها: «بيارو، هل تعلم أن سizar سينظم نوعاً من احتفال بمناسبة مرور خمسماة سنة على رسم لوحة بياتريس؟». بدا بيارو ضجراً: «لقد كان هناك حديث عن الموضوع».

«هو... هو يريدني أن أساعده في تنظيمه» قالت بعصبية: «أنا لست واثقة أي نوع من العمل سيكون. ترجمة رسائل من نوع أو آخر، على ما أعتقد». العبوس جعل وجهه الطفولي يبدو قاتماً: «المادا؟ هل هو طلب منك القيام بهذا؟ هو يستطيع أن يدفع شخص آخر! زوجتي القادمة ليست خادمة!». بسرعة شرحت: «لا، كما ترى، أنا طلبت منه إذا بإمكانه العمل في الكروم، لا تكون قرية منك، أنت

صرت على أسنانها. انه يسخر منها: «لقد حصلت على ذلك الانطباع من العمة تيريزا الآن...».

«هكذا أنا سمعت» تتمت.

«ومن.. آخرين» أضافت ببرود.

«آخرين؟» رفع حاجبيه بأدب.

توردت. هي لن تذكر تينا: «نعم» قالت بسرعة: «آخرين، وأنا أعتقد بأنه يجب أن ننسى ذلك. أنا أعني، بالطبع أني أحب القيام بالعمل، لكن في هذه الظروف...».

«أية ظروف؟».

«القيل والقال» تتممت، وترجعت: «نحن لا نريد أن نثير القيل والقال، اليه كذلك؟».

«الناس سيشرئون مهما فعلنا» هز كتفيه: «القد وجدت دائمًا أن أفضل سياسة هي تجاهل الآخرين ومتابعة العمل في كل ما نريد، بغض النظر».

«أوه!» هي كانت مذهولة. فكرت بسرعة، ثم قالت: «أوه، حسناً، ربما ستكون فكرة حسنة لو أنك توافق بأنني أعمل عندك لأنك توافق على زواجي من بيارو...».

«لكنني لم أوفق» قال بنعومة.

شحب وجهها، ثم تورد.

«أنا لا أوفق بتاتاً» أضاف: «ولن أوفق».

فهم. لقد عنيت، القيام ببعض الترجمة هناك. عندئذ نستطيع أن نرى بعضنا أكثر».

قبلها بيارو: «أيتها الفتاة الحمقاء الصغيرة...».

العائلة سمعت النبأ عند العشاء. الكونتبة نظرت بحدة إلى ابتها الأكبر وعبست. العمة تيريزا كانت مبتهجة. تينا لم تكن على العشاء مع العائلة، لكن أماندا مرت بها ذلك المساء على السلم، والفتاة أطلقت إليها نظرة احتقار: «اذن ستكونين وحيدة مع الكونت طول النهار؟ الذهاب إلى لندن علمك بعض الخدع».

أماندا تجاهلت. تعلمت كيف تعامل مع نزوات هذه الفتاة. الاقتراب من الطعام كان ميّتاً، من الأفضل تجاهل سهامها.

عند باب مكتب سizar توقفت أماندا، وإذا بسيزار يفتح الباب. تورد وجه أماندا ودخلت إلى الغرفة. طاولة صغيرة وكرسي ظهرها فيها منذ زيارتها الأخيرة. على الطاولة كومة من الرسائل: «هذه جميعها يجب الإجابة عليها. هل تطبعين؟».

«بالطبع» أطربت برأسها: «لكن أولاً... سizar...».

«نعم؟» كان صوته جافاً.

«أعتقد أن العمل قد يثير بعض القيل والقال» بدأت بتعasse.

«لا!»

بحكم الفطرة، لكنه أمسك معصمتها في قبضة حازمة.
نظر إليها بتكاسل: «فولاذية حتى اللب، يا اماندا. أنت
لا تلينين ولا تنكسرین، اليس كذلك؟».

«دعني أذهب!».

«الافتراض أني لن أدعك تذهبين؟».

التقطت أنفاسها ونظرت إليه بغضب: «أنت
سترغمي لأكون بدون كرامة» أخبرته.

ضحك، وألقى برأسه إلى الوراء في تسلية غنية.

ضرربته بقوة على الكاحل فتوقف عن الضحك.

«ثعلبة!» أطلقها، وقفز على قدم واحدة.

انتقلت اماندا إلى الجانب البعيد من الغرفة: «إذا
اقتربت مني ثانية فسأضربك بشيء ما!».

رفع كلتا يديه في إيماءة استسلام: «متوحشة! باشرى
بالرسائل. أنا ذاهب إلى الاستبلات».

عندما ذهب جلست وحدقت إلى الباب: «هذا لن
ينجح» أخبرت نفسها بصوت مرتفع: «أنا لا أثق بذلك
الرجل».

فكرة احتفال بيتريس بدأت تأسر مخيّلة منظمات
عديدة. اماندا سرعان ما وجدت نفسها غارقة في
العمل، تجيّب على الرسائل والاستعلامات الهاتفية؛
وطلبت الأزياء، والاكسيسوارات المناسبة والعديد من
التفاصيل التي تدخل في مشروع من هذا النوع.

«ألا يمكنك فقط أن تدعى اليهم جميعاً؟» توسلت.
«لماذا يتوجب عليّ؟ أنت ستكونين زوجة مخربة
ليارو».

فتحت فمها بذهول: «ماذا؟».

ضحك سizar، واتكلأ في كرسيه، ويديه في جيبه:
«لو تستطعين رؤية وجهك! أتمنى لو أن معي كاميرا!».
«ماذا تعني؟» سالت بغضب.

«أعتقد أنتي جعلت نفسك واضحاً. أنت عادة
تكلمين الإيطالية بطلاقة، أيضاً بدا مسروراً من نفسه.
طرقت قدمها بالأرض في ثورة غضب طفولي،
وسالت من جديد: «لماذا أنا سأكون زوجة مخربة؟ أنا
أحب ليارو وهو يحبني».

«ليارو سيكون بمثابة معجون في يديك الصغيرتين
الجميلتين» قال سizar ببرود: «هو ليس جداً لمحلوقة
مثلك. في خلال سنة من الزواج ستصبحان تعيشين
جداً. ليارو يجب أن يكون سيداً في منزله الخاص..
هو إيطالي وهذا ضروري لكبرياته. سيكون مميتاً له بأن
تكون لديه زوجة أقوى منه».

«أنا أحبه. لن تكون هناك بيتنا مسألة هيمنة. س تكون
شريكين».

«كم تعرفين القليل عن نفسك» تعمم سizar.
وقف ونقدم خطوتين نحوها. اماندا بدأت تتراجع

تيريزا برأسها: «هي لم تكن امرأة منحطة من ذلك النوع!».

ضحك بيارو: «يا عمتى، سيمونيتا كانت ذات جمال ملائكي، وهذا ليس شيئاً منحطاً لتكون عشيقة لواحد من آل بيديسى. هي جميلة وذكية، أيضاً».

تململ بيارو. لم تعجبه الطريقة التي كان يحدق بها شقيقه إلى أماندا: «أنا نفسي، أعتقد أن بوتيسيلى كان رومانطيقاً عظيماً. لوحاته كانت جميلة!».

كشر سizar نحو أماندا: «نحن أعطيناكم الوقت لكي تقرري، البس كذلك؟ والآن، كيف يمكنك أن ترفضي لظهورى مثل بيتريس الجميلة الرومانطيقية، لأجل بيارو؟».

«أنا سأشعر بالحماقة» قالت: «على أي حال، هناك بعض الشك على ما أعتقد لمن رسمت الصورة فعلاً؟». انفجرت العائلة في انكار غاضب. الكونتبسة قالت بحزم، فوق أصواتهم: «يا أماندا، لقد كنا دائماً نقول أنه كان بوتيسيلى.. وكذلك قال العديد من المؤرخين الفنانين».

ضحك سizar: «هكذا هناك!». زجرته والدته بنظره: «سizar، لا تسخر من والدتك». «لا، أمي!».

السائحون سيملاون فنادق ومقاهي المدينة، وتسهيلات موقف السيارات ستؤمن تحت أسوار المدينة.

«بالطبع، نحن ستحتاج إلى فتاة لتلعب دور بيتريس» قال سizar، حالماً اجتمعت العائلة على العشاء ذات مساء.

كانت أماندا حالمه تتلذذ بتناول الصلصة مع لحم العجل الذي قدم لها. كانت بطئية لدرك أن كل شخص كان يحدق إليها، وحتى أبطأ لدرك السبب.

عندئذ التورد انتشر من حلقاتها إلى خديها وصعوداً إلى صدغتها: «لا!».

«أنت كاملة» تنفس بيارو: «تبدين مثلها حتى في ثوب عصرى.. نحن دائماً قلنا هكذا! في زي من عصر النهضة ستكونين ضعفها!».

وافقت العمة تيريزا معه: «من غيرها يستطيع القيام بذلك؟ ذلك الشعر، وتلك العينين.. لن يكون من السهل إيجاد فتاة في سان فولنوكو تصاهميها! فقياتنا عادة سمراءات. غريب أن بوتيسيلى رسم دائماً مثل هؤلاء الفتيات الشقراوات..».

بتكماس، قال سizar: «أنت تعلمين أن نموذجه المفضل كان سيمونيتا الجميلة الكاملة، عشيقة جولييانو دي ميديسي. هي تظهر ثانية وثانية في لوحاته». «لكن بيتريس كانت زوجة الكونت» أطرقت العمة

أن أذهب».

«أنا أحب رؤية فلورنسا من جديد» قالت: «فيينما أنت تعمل أنا أستطيع التفريج على المناظر، سيكون عظيماً التجول حول يوفيري، ومشاهدة ديومو ثانية، وأبواب المعبدانية. أنت تذكر، أنا منذ خمس سنوات شاهدتها جميعها».

«أسأل سizar» قال بيارو بارتيا: «أنا أحب أن أخذك، يا حبيبي، لكنك تعرفين كيف أن.. مؤتمرات العمل لا تتوقف عندما تكون الخامسة والنصف، هم يستمرون على العشاء، وحتى عند الفطور كل صباح!». كان سizar أكثر صراحة: «أنت ستحتاج إلى كل فطنك في هذه الرحلة، يا بيارو. أنا لا أستطيع أن أدعك تتلهى باماندا الجميلة. هي تستطيع أن تقوم بزيارة في فلورنسا في وقت آخر. هناك الكثير لديها لتقوم به خلال غيابك».

كانت اماندا حائنة بمرارة عندما أبلغها بيارو بهذا الحديث.

«اذن، ديكتاتور سان فولنكو قال بأنني يجب أن لا أذهب» صرخت بغضب. كان سizar القوة المظلمة وراء كل شيء يحدث في المدينة؛ ينتقل، ويعمل، باستمرار للتحكم بأرواح البشر.

«يجب أن نحاول استرضاءه، تذكري» توسل بيارو:

«لكن يا عمة ماريا، ذلك الزي» اعترضت اماندا: «أنا لا أستطيع أن أرتديه!».

نظرت الكونتيessa الى سizar، حاجبها متزعج: «الطفلة على حق، الذي ليس مناسباً.. انه يكشف عن الكثير».

« بكل تأكيد هو لا يكشف أكثر من البكيني» هز سizar كتفيه: «أنت معروفة بأنك ترتدين واحداً منها». «بصورة خاصة» قالت بسرعة.

«على الشاطئ؟ ليس ذلك خاصاً جداً» كان سizar يرتدي تلك النظرة من جديد، التسلية الساخرة التي أصابتها بالجنون.

«مع ذلك، فهو بين العديد من الفتيات الآخريات، بينما اذا ظهرت مثل بيترس فالجماهير ستتحقق نحوه وسأشعر بأنني مشاعة حقاً».

«هي على حق، سizar» قالت العمة تيريزا بقلق.

« خاصة لواحدة من العائلة» قالت الكونتيessa بعبوس: بعد يومين، أعلمها بيارو أنه سيسافر الى فلورنسا للمشاركة في مؤتمر لمزارعي النبيذ. كان سizar متشوقاً بأن تلعب الشركة دوراً في السوق العالمية، ومن هناك كانت الرحلة الأصلية لبيارو الى انكلترا، ليتعلم كل ما يستطيع عن هذا العمل في لندن.

«هذا المؤتمر قد يعني طلبيات» أخبرها بيارو: «يجب

تورد وجه بيارو. حدق اليه سizar، وجمع حاجبه
في خط أسود.

«أعتقد بأنني كنت واضحاً؟» سأل سizar: «لقد
طلبت منك أن تذهب الى فندق ماغيوري. أنت تذهب
من وراء ظهري، بعد كل هذا،ليس كذلك؟ كيف
تجرؤ على هذا؟ لقد أوضحت لك كيف يجب أن تكون
الأشياء في المستقبل...».

كانت اماندا خرساء بالدهشة لنجمة سizar المهمة
الغاضبة. نظرت الى بيارو غير مصدقة، تنتظر منه أن
يجيب بعنف.

كان بيارو شاحباً الآن. حدق الى قدميه: «أنا أعرف
ما قلته. لقد قلته مرات عديدة كافية». أمر
«اذن عليك العودة الى الترتيبات الأصلية» سizar:
«أنت ستذهب الى فندق ماغيوري».

هز بيار كتفيه: « تماماً كما تقول...».

عندما ذهب سizar، سأله اماندا بغضب: «لماذا
تدفعه يأمرك هكذا؟ أنت لم تعد طفلاً، لن يسمح لك
بالتفكير بنفسك. لماذا يجب أن لا تقيم مع أصدقاء؟
أعتقد أن سizar لا يوافق عليهم؟ أوه، بيارو، اذا لم
تف في وجهه فستبقى طفلاً طول حياتك...».

«ألا يكفيكي ما لقيته من شقيقتي طول النهار بدون أن
تنضمي اليه كذلك؟» صرخ بيارو: «دعيني وحدى، يا

«عندما أكون بعيداً، يا حبيبي، كوني لطيفة مع سizar.
لا تجادليه طول الوقت».

«أوه، بياروا» تنهدت.
هو يشق سizar، فكترت اماندا، ونظرت الى وجهه
الطفولي الجميل عندما قبلها.
«أين ستقيم في فلورنسا؟» سالت.

«في شارع دي بيلاستري مع بعض الأصدقاء
القديامي» أخبرها بيارو.
«أوه، ليس في فندق؟».
«لا، ليس في فندق».
«أصدقاء طيبون؟ هل أعرفهم؟».

تورد خفيف ارتفع في خديه، هي احترارت به: «لا»
تلعثم: «لا أعتقد أنك تعرفينهم».
دخل سizar الغرفة بدون توقع. نظر الى بيارو
بحاجب مرفوع، مفتشاً وجه شقيقه المتورد بغضب:
«من الذين لا يعرفهم اماندا؟».
«الناس الذين سيقيم معهم بيارو في فلورنسا»
أخبرته.

نظر سizar بحدة الى بيارو: «أليست ذاهباً الى فندق
ماغيوري؟».

«لا» قالت اماندا، حالما تباطأ بيارو بالاجابة:
«سيقيم في شارع دي بيلاستري مع بعض الأصدقاء».

اماندا. أنت لا تدررين عن ماذا تتحدين!».

هلمت عندما ذهب. هو كان على صواب.. كانت تزيد الطين بلة لأول مرة رأت لماذا قال سizar أنهما غير متناسبين. كان بيارو شخصية بلاستيكية، سهل الانقياد، حلو الطابع. هي تكره الخصوم، وتبعض المشاكل من أي نوع. رغم أنه اشتاق لثبت لعائلته أنه كان بالغ الرشد، كان دائمًا يبعد عن أية مبارزة قد تثبت نصوجه الفعلي.

غطت وجهها بيديها. كيف أجرؤ على انتقاد بيارو المسكين؟ هو يتزوج مشاغبة. أنا أتزوج ملائكة. يجب أن أكون شاكرة لعدوبته، لا محقرة لها. اعتذرت له عندما التقينا ثانية، وقبلته بمحبة: «سامحني، يا حبيبي».

أعاد لها القبلة: «القد كانت غلطتي. أنا كنت غاضبًا من سizar وصرخت عليك. أنت كنت على صواب.. أنا ضعيف. سأحاول أن أكون أقوى لأجلك». «أنت لست ضعيفاً، بيارو. أنت أصغر من سizar بكثير لدرجة أنك استحوذت على عادة الطاعة، هذا كل شيء».

ضحك بمرارة: «عادة الطاعة! نعم، هذا صحيح، أماندا!».

«يجب أن تقف في وجهه. اذهب إلى أصدقائك! لا

تقم في فندق ماغيوري. لا تدعه يختار لك أصدقاءك. أنها حياتك، وليس حياته...» آراؤها الخاصة تلونت باتهام أن سizar سيحاول أن يضع نهاية لخطوبتها بنفس الحزم الذي اعتاد أن يملئه على صداقات بيارو. اذا هجر بيارو أصدقاء القدماء بناء على املاء سizar، فهو قد يكون ضعيفاً حيث يتعلق الأمر بها.

في اليوم التالي في المكتب فوجئت أماندا بسizar يضحك: «أنت لديك رأي رفيع عنى، أليس كذلك؟ أنا يجب أن أشعر بالاحانة، لكن للغرابة الكافية أنا لا أشعر..».

«بالطبع لا. فرأيك الخاص هو رفيع!».

«أغمدي مخالبك أيتها القطة الآن، يا عزيزتي» قال بنعومة: «والا فقد أخذ بالثار!».

«أذفني عن الشرفة؟ أصفع وجهي؟ ضعني بالسلسل في سراديب القلعة؟» سخرت منه بغضب: «ما الذي ستفعله بي، يا سيد ديكتاتور سان فولنكو؟».

أمسك بمعصميها، أصابعه أطراف حديدية حول عظامها الهشة، وسحبها نحوه.

متاخرة جداً حاولت أماندا أن تكافح للابتعد عنه. قبضته كانت لا تنكسر. وجهه القائم نزل نحوها كصقر ينقض من السماء على يمامه بيضاء. كانت غاضبة في البداية، ثم خائفه، ثم أخيراً، متأثرة بالاستجابة حالما

تعرفينه عني في الواقع؟ أنت طفلة، عاطفياً، عاجزة عن معرفة أو فهم آية مشاعر عميقة أو أكثر تعقيداً من مشاعرك. أنت لست كبيرة كفاية للزواج من أي شخص. ينقصك النضج لفهم شخص آخر في اكتمال اجمالي للزواج».

«هذا غير صحيح» صرخت بغضب: «لقد أحبت من قبل، وأعرف ما هو الشعور بالحب.. وأنا أحب بيارو!».

«أحقاً؟» سألها بوحشية.

«لقد رأيتكما معاً، ورأيتكم تقبلينه» عيناه ومضت علىها سخرية مريرة: «القبالات الطفولية العذبة للمراهقات! هي قد ترضي بيارو، لكنها لا ترضيني!».

«بالطبع لا» تراجعت غاضبة، مجرحة بسخريته ولسعه كبرياته واحترامه للذات: «ما الذي يرضيك، سizar؟ من يستطيع ارضاء صقر سان فولنكو؟».

«ليس أنت، على أي حال» قال بهمكم: «هذا الجسم الكامل الهش لك يخفي طفلة خائفة، عاجزة عن اعطاء وأخذ حب البالغ الرشد. أنا أشفق على بيارو».

«أشفق على نفسك اذا أخبرته كيف تصرفت معـي» قالت بارتعاش: «هو سيقتلـك».

ابتسم بغموض: «وهل ستخبرـينـه؟».

«نعم.. لا! لست أدرى. أنا يجب أن أخبرـه».

قبلـته احترقت على طول شفتيـها.

«لا تقـاتـلـينـي» همسـ.

«دعـني أذهبـ، سـizarـ» توسلـ.

ضـحكـ: «هل نـسبـتـ ماـذاـ كانـ يـسمـيـ كـونـتـاتـ سـانـ فـولـنـكـوـ دائـماـ؟ الصـقـورـ التيـ لاـ تـخـلـىـ عنـ.. ذـلـكـ ماـ كانواـ يـسمـونـنـاـ! التـوىـ فـمـهـ فيـ ابـتسـامـةـ متـوـحـشـةـ: «ماـ هوـ شـعـورـكـ وـأـنـتـ الآـنـ فـرـيـسـ صـقـرـ، ياـ عـزـيزـيـ؟ـ». انـفـجـرـتـ بالـبـكـاءـ: «لاـ تـفـعـلـ!ـ».

«ماـذاـ قـلـتـ ليـ الآـنـ؟ـ بـأـنـيـ لـنـ أـفـقـدـ عـقـليـ؟ـ أـنـيـ كـنـتـ فوقـ الـضـعـفـ الـبـشـريـ؟ـ هـلـ اـعـتـقـدـتـ بـأـنـيـ آـلـهـ،ـ بـدـونـ دـمـ،ـ وـلـسـتـ بـشـرـاـ،ـ لـدـرـجـةـ أـنـكـ عـدـتـ إـلـىـ هـنـاـ تـلـوـحـينـ بـخـطـوبـتـكـ إـلـىـ بـيـارـوـ،ـ شـقـيقـيـ؟ـ»ـ كـانـ صـوـتـهـ أـجـشـاـ مـعـ اـنـفـعـالـ.ـ هـلـ كـانـ غـضـبـاـ أـمـ أـلـمـ؟ـ تـعـجـبـتـ بـسـرـعـةـ حـاـوـلـتـ أـنـ تـقـرـأـ القـنـاعـ الـأـسـوـدـ لـوـجـهـ،ـ لـكـ ذـلـكـ كـانـ لـاـ يـرـالـ مـسـتـحـيـلـاـ عـلـيـهـ لـفـكـ رـمـوزـ مـاـ يـمـكـنـ وـرـاءـ مـلـامـحـ الشـيـهـةـ بـالـصـفـرـ.

اخـبارـياـ،ـ قـالـتـ:ـ «ـلـكـنـ تـقـدـمـتـ بـطـلـبـ الزـوـاجـ مـنـيـ فـقـطـ لـتـسـعـدـ وـالـدـتـكـ.ـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـؤـذـيـكـ عـنـدـمـاـ رـفـضـتـ!ـ»ـ.

رفعـ رـأـسـ بـاـصـرـارـ،ـ كـانـهـ يـكـرـهـ النـظـرـ إـلـيـهـ:ـ «ـماـ الذـيـ تـعـرـفـيـهـ عـنـيـ،ـ يـاـ اـمـانـدـاـ؟ـ أـنـتـ تـتـحدـثـ بـسـرـورـ حـولـ مـاـ أـسـطـعـيـ أـشـعـرـ أـوـ لـاـ أـسـطـعـيـ أـشـعـرـ،ـ لـكـ مـاـ الذـيـ

وأحدّه أي نوع من الرجال يكون في الواقع شقيقه المدهش.. ليست لدّيه فكرة،ليس كذلك؟ هو يحترمك، ويتعلّم إليك، وطول الوقت أنت مقتدر على هذا النوع من الغش!».

نظر إليها بغضب، عيناه الخضراوان سوداوان تقريباً من الغضب المتزايد الذي شعر به: «إذا أنا خدعت بيارو فلأنني أشعر بعدم وجود سبب لأكون مخلصاً له.. لقد عرف بيارو عندما أعادك كخطيبته أنها ستكون اهانة مميتة لي، ومع ذلك هو سار قدماً وفعل تماماً ما يحلو له. عرف أنني قد اخترتك لتكوني كونتيسة لي..».

«أنا رفضتك منذ خمس سنوات!» صرخت.

شفته التوت: «ما علاقة هذا بذلك؟ هل تعتقدين أنني وافقت على رفضك كقرار نهائي؟ كنت لا تزالين طفلة، فقط في الثامنة عشرة. لقد كنا جميعنا ننتظر عودتك، كما فعلت، عاجلاً أم آجلاً. نحن لم نتوقع منك أن تعودي كزوجة مستقبلية لبيارو!».

«نحن.. أنت تقول نحن.. أنت فقط عرضت عليّ الزواج لأجل والدتك، كما قلت! لقد كان دائماً حلمها أن أتزوج منك، وأنت احتفظت بالفكرة لأنك تكره أن تذوب. لقد تصرّر كبرياً عندي رفضت الوقع في خططك. أنا لم أستطع إيذاء مشاعرك لأنك ليست لديك

أي..».

«من الواضح أنك لست قادرة على فهم أحد» وافق بنعومة. ترك عينيه ترتفع بحدة إلى وجهها، تتحسّن عينيها.

«اذن» تعمّم بنعومة: «هل بدأت تفهميني؟».
فجأة كان وجهها يحترق، وعيناه انخفضتا بعصبية أمام نظرته الثاقبة. شيء ما في الطريقة التي نظر بها إليها أظهرت لها ما لم تشهده من قبل.. سizar قد لا يكون واقعاً في حبها، نظرته أخبرتها ذلك. افتكرت في البداية أنه كان فقط غاضباً منها، وأن معاشرته كانت مصممة لاهانتها واغتصابها بدلاً من ارضاء نفسه. الآن هي عرفت بالفطرة أن سizar يريدها، وأن الصقر، كما قال سابقاً، قد اشتهر رائحة الفريسة، وارتجمت تحت ظل جناحه.

«أنا.. أنا سأتزوج من بيارو» تلعمت، متجمبة عينيه: «دعني لوحدي، سizar، والا سأكون مضطّرّة لأخبره أنك.. أنك..».

ضحك: «أنتي أريدك، وأنوي أن أمتلكك؟».
صعقت لتصريحه الثائر بحقيقة أنها فقط اعترفت بالحاج مرتبك: «أوه!» ابتعدت عنه وركضت خارج الغرفة، وهي تسمع ضحكته الناعمة تلاحقها في هرائها. وحيدة في غرفتها، جلست اماماً على السرير

للمساعدة... إن ذلك سيؤذني مشاعرها كثيراً. العمة تيريزا كانت رقيقة جداً، ولطيفة جداً لتكون ذات فائدة كثيرة.

ليس هناك من أحد، فكُرت أماندا بعجز. ليس عندي ملجاً أستطيع الذهاب إليه، ولا مأوى آوي إليه هنا. يستطيع سيزار دائمًا أن يجدني.

عندئذ رفعت ذقنها. أنا عندي نفسي، فكُرت بكرياء. لقد هزمته من قبل، وأستطيع أن أهزمه من جديد. ماذا يمكنه أن يفعل بي، بعد كل ذلك، إذا أوضحت أنني لا أريد أية علاقة معه؟ لقد أخذني على حين غفلة من قبل. أنا الآن تنبهت، وسوف أحمي نفسي منه. هناك طرق لبناء أسوار حول ذات المرأة، أسوار غير مرئية من الرفض البارد الذي يعرفه كل رجل.

وقفت ويدأت تمشط شعرها، ثم تجمدت حالمًا رأت ظلال رضوض على حلقها حيث قبّلها وأمسكها بغضب: «بربرى!!» قالت بصوت عالٍ. أصابعها لامست العلامات الزرقاء بخففة. كانت لديها صورة خاطفة لنفسها في يديه السمراءين القويتين.

غسلت وجهها في الماء البارد، وجففته ببطء وبحذر، ثم وضعت ماكياجاً جديداً بأصابع ترتعش قليلاً. عندئذ بأسلوب مسيطر عادت إلى مكتب سizar،

وحدقت إلى انعكاسها الشاحب في المرآة. عيناها بدأتا متورمتين. فمها كان يرتعش بشكل واضح وضربة نি�ض خفيفة عند قاعدة حلقها الأبيض التحيل.

فجأة تذكرت ما قالته تينا في محل التحف الأثرية عن موقف سizar من خطوبه بيارو. الكلمات احترقت في ذاكرتها.. «فالها الكونت لو والدته.. ما دام في عرق ينبع.. هذه الفتاة الانكليزية لن تتزوج من بيارو..». ارتجفت، وغطت وجهها بيديها. تصريح تينا الغاضب اتخذ الآن معنى جديداً ورهيباً. سizar لم يكن يحدث بمجرد الرفض المتكبر لزواجه.

تحت أصابعها الباردة توهجت بشرتها بحرارة مفاجئة عندما صفت أفكارها. موجة اثر موجة من اللون القرمزى زحفت إلى وجهها، عندئذ أنزلت يديها ونظرت إلى نفسها بامتعان. ما الذي فيها هو الذي جعل سizar يتأثر بهذه الطريقة؟ لماذا هو يريدها؟

«أنا لا أريده!» صرخت عالياً في الغرفة الشاغرة، ثم عضت على شفتها ونظرت حولها بعصبية، خائفة من مستمعين في الخارج. شعرت كحيوان صغير ملاحق الذي أصبح فجأة مدركاً أن الذئب مازال يجد في اثره.

كل طرف صعب في جسمها ارتجف من الرعب. كان بيارو بعيداً، وليس في متناول اليد لفترة قصيرة. هي لا تجرؤ على الذهاب إلى الكونتيسة طلباً

أحبه، وسأتزوجه.. حتى لو قال سizar بأنني سأكون
الشريك المهيمنة!

أنا أحب بيارو أبعد بكثير من محاولة الهيمنة عليه.
حالما هو يتعد عن النفوذ المسيطر لسيزار، فكل تأكيد
هو سيزداد قوة، ويصبح أكثر ثقة، كرجل وكحبيب؟
كلمات سizar عن قيلات المراهقات قد ولت، رغم
انكارها الغاضب في ذلك الوقت. لقد كان صحيحاً أن
بيارو لم يثبت أنه كان متلهفاً ومتطلباً مثلما كانت
تتمنى، لكنها كانت واثقة أنه سيتغير بمرور الزمن. لقد
كان بيارو هو كل ما تريده من الحياة..

سيزار لم يظهر في ذلك النهار. اشتغلت إماندا في
المكتب كالمعتاد على تفاصيل تنظيم احتفال بيتريس،
لكنها وجدت أنه من الصعب التركيز على مثل هذه
المسائل بينما رأسها مليء بشيء ما مختلف جداً. في
كل لحظة توقعت دخول سizar عبر الباب. كان الأمر
محطماً للعصاب، اشتبهت، متيقنة تماماً من جهته.
سيزار سيكون ماهراً في لعبة القط والفار.

ارتدى بعنابة لوجبة المساء، وقفز نبضها وهي تهبط
لتضم إلى بقية العائلة. نظرتها مساحت الغرفة، فوجدت
بروفيه القاتم فرفقت بسرعة مبتعدة، واللون صعد إلى
خدتها.

كان يتحدث بتकاسل إلى العمة تيريزا، وبغيبتها:

مسلحة من أجل المعركة،
وقفت في الغرفة بلا حراك لمدة لحظة، ثم أطلقت
تنبيدة طويلة.

لحظة هي هلعت بارتيا ب أنها قد يخيب أملها
عندما لا تجده هناك.. وأنها كانت تتطلع إلى صدام
معه. أي أدنى ارتيا أنها لا تمقت وجوده قربها كان
كافياً لاحافتها للحظة.

سألت نفسها بصمت لماذا هي مصممة على أن
تكرهه، وقد عرفت، في الأعمق السرية لروحها، أنه
كان تصميماً ولد من ذلك الانجداب المدمر نحو
سيزار. شيء ما خفي في أعماقها ففز إلى حياة ساخنة،
فقط لتهزم مرة أخرى بواسطة عقلها.

وقفت بجانب النافذة، وحدقت فوق السهل،
ونذكرت. تذكرت مرات عديدة عندما تقلصت متراجعة
من القوة المجردة لوجود سizar، وهيمنة شخصيته. هي
لن تكون واحدة من تلك الفراشات المنجدبة إلى ذلك
اللهب. شاهدت العديد من الفتيات الآخريات يرفرفن
مبعدات، ويعردن. حتى كفتاة صغيرة جداً هي قاومت
الجاذبية المميته. سيد سان فولنكو كان حتى أكثر تدميراً
للفتاة الصغيرة جداً، بالفعل، هي هربت منه بالفطرة،
كيمامة تهرب من ظل الصقر.

لكتني فعلأً أحب بيارو، قالت لنفسها بعنف. أنا

كل ذلك، أنا لست واحدة من العائلة، أليس كذلك؟
أجدادي كانوا فلاحين، وليسوا نبلاء!».

أطلق سزار علىها ابتسامة تقديرية: «أنت مخلوقة
صغيرة جميلة ودافئة الدم، يا تينا. ماذا يهم من كانوا
أجدادك؟ أنت تشبهين بيانكا. أنت ستلعبين الدور
لدرجة الكمال!».

مهدت تينا التئورة السوداء الضيقية التي ارتديتها،
وأصابعها توكل بامعان الانتفاخ المقوس لوركيها. نظرة
سيزار لاحقت الحركة. شفاته التوتانة بتسليمة.
«حسناً، اذا كنت تريدينني» غردت تينا بنعومة.

ما الذي تعنيه بالضبط من ذلك؟ تعجبت اماندا
بسخرية. شيء ما أخبرها أن تينا لم تكن فقط تشير الى
الدور في الاحتفال.

نظر سزار اليها مباشرة: «خذلي قياس تينا على
الفور. زي بيانكا يجب أن يكون مناسباً تماماً».«هل سيكون بالضبط نفس الشيء كاللوحة؟» سألت
تينا بشوق.

أطرق سزار رأسه: «بالضبط نفس الشيء! اللون
سيناسبك تماماً وضع ذراعه حول خصرها وأضاف:
«تعالي لنلقى نظرة على اللوحة الآن». اماندا راقبت حالما هو و Tina غادرا الغرفة. الكونتيصة
ماريا كانت عابسة في حيرة. حدقت خلف ابنها، ثم

«أي دور ستلعبينه في احتفالنا، اذن، أيتها العمة؟ ما
رأيك بدور الكونتيصة بيانكا؟».

«أنت تمزح، سزار» ضحكت العمة تيريزا،
مسرورة.

«من ستلعب دور بيانكا، يا بني؟» سالت والدته
بنظرة جادة.

«العمة تيريزا» ألح سزار.
ابتسمت الكونتيصة ماريا بغضب: «لكن في الواقع...
من تعتقد أنها مناسبة تماماً؟».

أطلق سزار نظرة سريعة خفيفة على اماندا:
«أعتقد... تينا...» كانت هناك سخرية في الابتسامة التي
رافقت الاسم.

«أوه، نعم» قالت العمة تيريزا: «هي ستبدو جميلة
 تماماً!».

في تلك اللحظة دخلت الفتاة نفسها الى الغرفة،
اشتبهت اماندا بأن تينا كانت تسترق السمع. كانت هناك
ابتسامة متصرّة بغرابة على الوجه الجميل العابس
للفتاة.

«هل تلعبين دور الكونتيصة بيانكا، يا تينا؟» سأل
سيزار مع ابتسامة.

«هل تعتقد أنتي أستطيع لعب دور كونتيصة فولنكو؟»
سالت تينا، عيناها السوداوان واسعتان وبريتان: «بعد

افتراحات المودة.

عندما كانا يعودان من ركوبهما يتناولان طعام الفطور، ثم يعملان في المكتب كل يوم على الخطط لاحتفال بيترس.

كانوا قد بدأوا التمارين الاستعدادية للاحتفال الآن.

كانت الأزياء قد أصبحت جاهزة أخيراً، وسيزار دعا لتمارين باللباس ذات صباح، اليوم الذي سبق العودة ليارو مع ضيفه الأميركيين.

كانت تينا مسرورة عندما بدأت تدخل نفسها بلهفة في التنانير العديدة التي سترتها تحت الزي الأصفر الغاضح الذي كان نسخة عن ثوب الكوتيسية بيانكا.

عيناها السوداوان تومضان بالانتصار حالما تنظر إلى نفسها في المرأة الطويلة التي أحضرت إلى غرفة الفطور. جميعهن سيسرن في عرض أمام سيزار، ووالدته، والعمة تيريزا، والخدم الذين تجمعوا في القاعة الكبيرة لمراقبة المسيرة الساحرة.

اماندا شعرت بتعasse بالغة، ارتجفت في ثوبها المتهدل، وشعرت كأنها عارية ومكشوفة. لفت ذراعيها حول صدرها النصف عاري بطريقة دفاعية، وقررت أنها لا تستطيع الدخول إلى القاعة ليحدق إليها.. أي شخص.

توقفت تينا ونظرت إليها، ورفعت حاجبيها. عينها

نظرت إلى إماندا. لثانية أو اثنتين بدا كأن الكوتيسية على وشك أن تقوم بملاحظة ما حول الاهتمام المفاجيء لسيزار بتينا، ثم قررت بوضوح عدم قول أي شيء، لأنها أفلت شفتيها بحزم ونظرت بقلق إلى السماء وراء النافذة.

عرفت إماندا تماماً لماذا كان سيزار مهتماً فجأة بتينا. ملامحه أخبرتها أن السبب، أنه كان يعرض لها أن فتيات آخريات يجدنه لا يقاوم.. لأنها كانت بحاجة إلى أي دليل إضافي! هي دائماً عرفت عن فتياته. ذلك فقط كان يقوى من عزمهما على عدم الوقع تحت سحره.

عندما سيزار وتبنا عاداً، كان هناك تورد خفيف على خديها وابتسمة سنورية من الرضا على فمها الأحمر. بدت كامرأة خضعت لتوها للقبل، واشتبهت إماندا أن ذلك هو ما حدث بالضبط في رواق اللوحة. تحت العيون المفترسة للكونتات دروتسو أكد حفيدهم حقه الموروث فيأخذ ما يريد.

كل صباح عند شروق الشمس إماندا وسيزار كانوا يقومان معاً برركوبهما الصباحي عبر سهول الوادي تحت المدينة. احتاطت إماندا لتنهض في الوقت كل صباح كيلا يفاجئها بالدخول إلى غرفتها وهي نصف عارية. كما صرمت على تجنب المناسبات التي تحمل

ساقيها البيضاوين، خصرها لين ونحيل. كانت ترتدي تاجاً من ازهار الربيع؛ براعم وردية، وأوراق خضراء، وأزهار ذهبية. على شعرها الأشقر الفضي الناعم التاج منح لمسة من السحر. حتى عصيتها عملت على تحسينها، وأعطت خديها شحوبياً ناعماً كان ساحراً.

وقف سizar في القاعة، جزئياً في الظل، رأسه الأسود مرفوع بغضيرسة وهو يستعرض النساء يسرن من أمامه. بدا أشبه بسيد العبيد يتفحص الدفعة الأخيرة من الفتيات العبيد، فكّرت اماندا بوحشية. أنا أمتها هو وحش..

عندئذ عيناه الخضراء انقلتا اليها، واتسعتا في الحال. نظرا الى بعضهما قي صمت له صفة الموسيقى.. عاطفة تدفقت بينهما في جدول فضي. أخيراً أبعدت اماندا عينيها عنه في كراهية ذاتية مريرة. طبعتها الكاملة بدت لتكون معدبة أبداً، منشقة بين الحب والكراهية، بين الرغبة والاحتقار، كانت متعبة من النضال. فجأة اشتاقت للابتعاد عن المدينة، للهرب عائدة على شوارع لندن المجهولة الآمنة.

كل شخص كان ينتظر سizar ليلفظ حكمه. بعد فترة طويلة قال بصوت أخش: «هذا ممتاز. هل توافقين، يا أمي؟».

«نعم» قالت الكونтиسة بارتياخ: «أوه، فعلاً ممتاز،

السوداوان ضاقت في غضب مفاجيء: «تبدين مضحكة» قالت.

السينiorة ماريلا طقطقت لسانها: «سكت، أيتها الفتاة! كيف تجرؤين على قول مثل هذه الأشياء؟» بلطف رفعت يدي اماندا وجعلتها تقف بأقل حمافة: «فتاة جميلة» تمنت.

«تينا على حق. أنا أبدو حمقاء!».
«أنت تبدين جميلة جداً» قالت السينiorة بحزن: «تعالي!».

«أنا لا أستطيع الخروج الى هناك...».
ضحكت تينا: «هي جبانة! هي تشعر بالحماقة كما تبدوا!».

حتهن السينiorة على الوقوف جميعهن في صف. كان هناك ستة نساء آخريات، جميعهن يرتدين الأزياء الثمينة للنساء القديمات لآل دروتسو، ويتحدين بفرح حالما بدأن الدخول الى القاعة. اماندا وقفت بعصبية، وأسنانها تصطك.

«تعالي!» أمرت السينiorة: «ارفعي رأسك.. لا تمشي مثل الكيس.. استرخ.. تذكرى، أنت جميلة جداً..».
بدأت اماندا تسير، رأسها مرفوع كما أمرت السينiorة. أخيراً كانت في الموكب. حالما انزلقت على طول ثوبها الشفاف الذي رفف الى الوراء ليكشف

عيناه الخضراوان انتقلتا منها الصورة، ثم عادتا من جديد. شعرت بلمسة نظرته كأنه يمسكها بتلك اليدين السمراءين القويتين مرة أخرى.

«لا» قال أخيراً: «السيدة ماريلا صنعت الزي نسخة طبق الأصل، لكنني لا أستطيع تحمل فكرة رجال آخرين يرونك فيه.. يجب تغييره».

استدارت أماندا مبتعدة، مرتاحه لقراره. كانت تخاف من فكرة الظهور أمام الجمهور هكذا.. سizar أوقفها، وأمسك معصمهما في قبضته الحديدية.

«لا تذهب» قال بصوت أحسن: «دعيني أنظر إليك ثانية».

هي لم تستطع تحمل نظرته: «لا» توسلت: «أنت تجعلني أشعر كأنني.. عارية..».

ابتسامته كانت تملكية بانتصار: «هل هذا صحيح؟» مرر نظرته نزولاً مع انحناء جسمها: «هل تعلمين كيف تبدين عندما تسيرين بهذا الشوب؟ أنت تكونين أقرب إلى العربي كأنك لا ترتددين ثياباً، مع أن كل حركة تخفي وتكشف، بحيث أن المرء يكون معدباً بالأمانى الخادعة ومحسورة في نفس الوقت».

«يجب أن أذهب» قالت في يأس. ان قربه كان يجعل ذلك الضعف المخزي يزحف فوقها من جديد. قررت أن لا تستسلم للحاجة إليه، وللرغبة في أن

لكن.. نظرتها ذهبت إلى أماندا.

سيدة ماريلا أطرقت برأسها: «لكن ثوب بيتريس فاضح جداً..» قالت بابتسامة متنصرة: «أعتقد أنه يجب أن يكون..».

عينا سizar ذهبتا إلى أماندا من جديد: «نعم» قال. «أنا سوف أفارنه مع اللوحة قبل أن أتخذ قراراً» ابتسم إلى النساء الآخريات: «جميعكن كاملات. أشكركن، يمكنكم خلع ثيابكن الآن».

اندفعت تينا نحوه، عيناها متلهفتان. وقفت على مقربة منه: «وثوب؟ هل أصلح لأكون الكونتيessa بيانكا الصالحة؟».

ابتسم سizar في تسلية تقديرية: «أنت فاتنة، يا تينا» قال بنعومة.

«حقاً؟ هل أنت تمتدحي؟» ضحك: «أنت ثعلبة» أجاب: «إذبهي، واستبدلليها بشبابك الجينز. أنت تبدين جميلاً مهما ارتدت، أنت تعرفين كل ما هو جيد!».

ضحكت تينا إليه، وقفزت إلى الباب وانحافت. السيدة ماريلا لحقت بها. أماندا انتقلت وراءهما، لكن سizar قال ببرود: «لا، يجب أن نقارنك مع اللوحة ونقرر فيما إذا كان الزي جيداً أم لا». باقتناع، لحقت به إلى الرواق. وقفوا أمام الصورة،

يمسكتها بذراعيه.

نظر سizar الى أسفل نحوها باحثاً: «حسناً جداً»
قال: «أسرعي، أيتها الأربنة الصغيرة. أخبري السينوره
ماريللا أن تجعل الثوب أقل عرياناً كثراً: «أنا لم أكن
أدرك كم سأمقت فكرة أن يراك الآخرون نصف عارية.
أنا كنت متشفقاً جداً لأراك بنفسي».

تورد خداها: «سيزار ارجوك.. دعني لوحدي..
توقف عن اضطهادي!».

ضحك ساخراً: «أتوقف عن ماذا؟ يا فتاتي العزيزة،
أنت تريدينني بقدر ما أريدك، ويوماً ما ستائين لي
وستسلمين. يوماً ما سستسلمين وتتوقفين عن
الهرب».

«أنا لن أفعل» انكرت: «أنا لن أستسلم.. أبداً أنت
قد تتوقف عن محاولة ارغامي للقيام بذلك، سizar. إن
عقلي ليس ضعيفاً كجسمي، تذكر. ذكائي يخبرني أنا
لسنا معنيين لبعضنا» نظرت اليه بجدية: «أنت قلت
هكذا بنفسك، أتذكر؟ قلت أني روحانية جداً، قوية
جداً؟».

«أنا قلت أنك كنت روحانية جداً لبيارو» صحيح:
«بيارو لا يستطيع أن يركب فرسى، أيضاً.. إنها قد
ترکض بعيداً معه، أو تلقيه أرضاً الأمر سبان مع النساء
كما هو مع الخيول. هن بحاجة الى الفارس الحقيقي».

«أنت لن تكون فارسي!» أجبت بغضب.
ابتسم سizar: «سوف نرى..».

أحلامها تلك الليلة كانت نشطة ومليئة بالкоابيس.
 حلمت أنها كانت تسير في غابة، الغابة السوداء للوحه
 بوتيسيللي، لكن الآن تخللتها أشعة الشمس وعند
 قدميها ورود وبنفسج مزهرة، الأزهار الانكليزية للربيع،
 عطرها ارتفع الى أنفها، وجعلها تشعر بالمرح
 والتفاؤل. عندئذ فجأة تلاشت أشعة الشمس». «سحابة
 خيمت فوق الاشجار، وألقت ظلاماً ليس فقط فوق
 المنظر الطبيعي بل فوق روحها. نظرت الى الأسفل
 والأزهار، أيضاً ولت. العشب كان ذابلأ، والأوراق
 بدأت تساقط.

كان الأمر غريباً، متوعداً، لترى المسيرة العاديه
 للقصول تتضعد فجأة هكذا، لدرجة أنها نظرت حولها
 في هلع مما ستجده لاحقاً.

شاهدت شيئاً يتحرك نحوها عبر الاشجار السوداء
 العارية. لقد كان سizar. رأسه الاسود لا يمكن أن
 تخطشه. كان، للغرابة يرتدي زيه العظيم من عصر
 النهضة، المعطف الاسود والفضي يتدلّى من كفيه
 العريضين. الأشرطة الفضية تلمع في ضوء القمر.
 ضوء القمر؟ نظرت اماندا الى السماء السوداء. كيف
 أقبل الليل بهذه السرعة؟.

قفزت من السرير، وأسرعت بالاستحمام وارتداء ثياب الركوب، ونزلت الى الاسطبلات لتنضم اليه في ركوبهما المعتاد.

كانت تينا في الاسطبلات، بكل وقاحة تحوم في غرفة الأسرجة، عيناه السوداوان تقرعان. حدقت الى اماندا ولم تقل شيئاً. عندئذ خرج سيزار من المطبخ: «هل أسرجت الخيول؟» سأله كارلو، الشاب الرفيع الذي يساعد في الاسطبلات لحبه الشديد للخيول.
«أنا أسرجتها» تدخلت تينا في تحدٍ: «ستكون هذه هي المرة الأخيرة التي أهتم فيها بفيستا..» نظرتها الى الفرس كانت مؤثرة في حدتها.

سيزار هز كتفيه. استدار ورفع اماندا الى السرج. يده استقرتا على خصرها، كأنه يحجم عن اطلاق سراحها. نظرت الى وجهه الأسمر وعيونهما التفت بحافز تصدام عنيف بسرعة بالغة. شعرت بالصريح في أوصالها.

لكنه عندئذ بكل وضوح سيطر على تلهمه، واستدار بعيداً وقفز الى سرجه.

في تلك اللحظة انفجرت تينا في صرخة ضحكة حقوقة، وفولنكو فيما تراجع، ورفع قدميه الاماميتيين في الهواء، وصهيل يائس من الغضب والالم انطلق منه.
«ماذا فعلت، أيتها القطة الجهنمية الصغيرة؟» سأله

كان سizar قدماً نحوها ببطء، هرعت اليه، مادة يديها في ترحيب، ثم توقفت كالميّة حالما رأت أصابعها ترتعش.

أنا عجوز، هي فكرت. اني أهرم، مثل الغابة. شيء رهيب حدث لي.

وضعت يديها على وجهها، خائفة أن يراها سizar هكذا، وبكت بعنف.. «لا، لا.. لا تنظر.. ابتعد!». عندئذ فجأة كانت تحدق بعينين واسعتين متجمعتين الى ضوء النهار، وهي كانت مستيقظة في غرفة نومها. تمددت مرتعشة للحظة، لاحياء هلم الحلم من جديد. أي حلم غريب هذا! كابوس! الأمر غريب، فكرت.. أنا لم أكن أخشى من قبل بأن أهرم. لماذا يجب أن أحلم بذلك؟.

كان يجب علي أن أعرف، أخبرت نفسها. اذا أنا قاومت سizar فإبني أقاوم فرصتي من السعادة. أنا أحبه.. لماذا لا أعترف بذلك؟ هو يحبني أكون مجونة لو بقيت أهرم منه هكذا..

هو سيعطي علي، ذكرت نفسها. يتوقع مني أن أكون زوجته، أولاً وأخيراً.. زوجة بيت، وأم. سizar ليس لديه ايمان بطموحات النساء. نشا أوتوغراطياً، اعتاد أن يأمر فيطاع. هو جائز، عديم الرحمة.
أنا أحبه، فكرت، وأنا أريده..

عندما مرت عبر البوابة رأت سيزار يختفي بين الكروم بسرعة هائلة. ركضت في اثره، وقلبتها يطرق. ما الذي فعلته تينا لتجعل فيقا يتصرف هكذا؟ كان الأمر غريباً تماماً لطبيعة الحصان نি�جون هكذا شريراً. لقد كان دائماً عالي الروح، هذا صحيح، لكنه لم ينقلب على سيده. لقد كان هناك وثام أصيل بين الحصان والسيد.

ووجدت نفسها تلف وتدور بين الكروم. هرع الرجال نحوها، يصرخون ويشيرون، ووجوههم حزينة. أحست بما قالوه، رغم أن الكلمات كانت مشوشة عند هذه المسافة، وببدا قلبها بأنه قد توقف. لقد وقع سيزار!

أرجوك، يا الهي، صلت بيأس، لا تدعه يقتل.
أرجوك، أرجوك، ليس سيزار..

رأت فيقا، راكضاً والعرق يتتصبب منه، معطفه ممسوح، عيناه تدوران في رأسه، واقفاً عند سياج، جوانبه تلهمث بوضوح. على بعد عدة أقدام، ذراعان ممدودان، رقد سيزار. ساكاناً بشكل مشؤوم، دركت حالما نزلت عن صهوة فيستا. عدد من الرجال الذين سبقوها كانوا راكعين بجانبه، لكنهم تراجعوا باحترام حالما هي ركضت نحوهم.
«هل هو واع؟» سالت لاهثة.

سيزار تينا وهو يحاول يائس البقاء على ظهر فيقا. الحصان غطس ورفس، ولوى نفسه في ألم واضح.

«اقفز» توسلت اماندا الى سيزار: «يا أعز الناس، أقفز الآن..».

لقد فات الأوان. الحصان الفحل ازداد يائساً. انطلق يركض، وسيزار يتعلق به يائساً، ووجهه عابس.

«ما الأمر؟» اماندا سالت تينا بغضب: «ماذا فعلت؟».

«هل تريدين أن تعرفي؟» أجبت تينا: «ستكونين محظوظة لو أن سizarك الغالي رجع حباً أرجو أن يقتله فيقا. أرجو أن يرفس رأسه في.. أنا سأضحك في الجنaza!».

أدانت اماندا فرسها وجدت للحاق في اثر فيقا، وملامحها شاحبة من كلمات تينا. قد يكون سizar قتل قبل أن تسع لها الفرصة لتخبره.. لتريه.. هي جفلت. الكابوس أصبح حقيقة.

كان الناس يهرعون بقلق في شوارع المدينة، فقد رأوا سيزار مقدوفاً على ظهر فيقا. صرخوا اليها بلغة ايطالية عالية: «كان منطلقاً بسرعة..».

«ال Hutchinson منطلقاً معه؟» صرخوا عندما مرت بهم. اماندا أطربت برأسها، ولم تضع الكلمات، هي لا تستطيع الكلام. بدت حنجرتها جافة كالمراد.

ناعمة بشكل غريب وهي تنتقل فوق الجسم الطويل.
راقبته اماندا. هذا عقاب لحمقى، فكرت. ان هو
مات.. أكون قد فقدت فرصتي بالسعادة.

أحد رجال الكروم دس شيئاً لأماندا وهي تنتظر
للصعود الى سيارة الاسعاف بجانب سizar: «القيت
نظرة على الحصان» همس: «لقد وجدت هذا تحت
السرج».

أخذت الشيء الذي رفعه لها، وأطلقت شفقة
احتياج غاضبة. لقد كان جسمًا معدنياً صغيراً هي
عرفته. لقد جاء من مجموعة أدوات التعذيب للعصور
الوسطى المحفوظة في صندوق زجاجي في القلعة. هذا
الجسم كان يستعمل، كما استعملته تينا، لوخز الخيول
لدرجة الجنون وجعلها تقلب راكبيها. لقد كان قنداً،
مصنوعاً من الحديد، وبقع من الدم ظهرت حين
انغرست في لحم فيقا. وزن سizar على السرج بالطبع،
أرغم هذا الشيء لينغرس في ظهر الحصان، مما جعل
فيقا يائساً للتخلص من راكبه.

«تينا..» لهشت: «كم هي سافلة.. كم هي
شريرة!».

عمال الكروم قاموا بصوت صغير منخفض من
الغضب. أحدهم كان يمسك لجام فيقا. الحصان
الفحل كان يبدو تعيساً فاتر الهمة. ذهبت اماندا اليه

«لا، يا سينيوريتا..» أخبروها: «جاكومو ذهب الى
مكتب الكروم ليتصل هاتفياً بالطبيب» أعلموها بأدب.
ركعت اماندا بجانب سizar ونظرت الى وجهه. كان
قد أغمض عينيه. كان هناك جرح على جبهته ودم أسود
يسيل منه. بشرته بدت شاحبة جداً بجانب شعره
الأسود. رفعت احدى يديه، وجست بحذر النبض عند
معصمه. بدا خافتاً جداً. قلبها فقد ضرباته. ما هو مدى
اصابته؟.

شعرت بالعجز، بدون جدوى، لا تدري ماذا تفعل.
أحد الرجال سألها بطف: «هل نقله الى المكتب؟».
«لا» قالت: «يجب عدم تحريكه. من الخطير نقل
شخص ما حتى نعرف بالتأكيد مدى خطورة الاصابة!
الطبيب سيني ويخبرنا».

كانه سمع صوتها كان هناك صوت سيارة مسرعة
على طول الطريق عبر الكروم، وبعد عدة لحظات هبط
عليهم طبيب شاب، وجهه قلق. انحنى لها: «هل وقع
عن حصانه، كما فهمت؟».

«نعم. هو فاقد الوعي» قالت بتعاسة: «نحن لم
نحركه في حال أن الاصابة..».

أطلق عليها الطبيب ابتسامة استحسان: «جيد. عمل
حكيم».

ركع وبدأ بمهارة يفحص سizar، أصابعه الرفيعة

خطاً رهيب. بالطبع، هذا هو مجرد اعتقاد، لكنني أعرف سizar. لديه لياقة بدنية قوية جداً. قد يحتاج إلى أكثر من سقطة عن حصان لكي تقتله».

«أرجو أن تكون على حق».

«أرجو ذلك أيضاً» طمأنها الطبيب.

«هل يمكنني البقاء لفترة؟»

«الأمر لن يكون حكيمًا. سيكون تحت المراقبة، فلا تقلقي. الممرضة ستكون هنا طول الوقت. من الأفضل لك أن تذهب لتناول بعض الطعام».

«أنا لا أستطيع أن آكل!»

«بعض القهوة، اذن» ألحـ الطبيب: «أنت بحاجة إلى بعض التغذية.. لقد تلقيت صدمة. أنا أقول لك ماذا، تعالى إلى مكتبي، وسأعطيك شيئاً ما لتخفيف أثر الصدمة».

أطاعته باحجام، وأخذت فرصة حمراءين صغيرين وكوباً من القهوة بالحليب والسكر وبعض البراندي. عندئذ هي مارست حراستها خارج غرفة سizar.

غادرت موقعها فقط مرة واحدة خلال بعض ساعات. ذهبت إلى غرفة التواليت لتغسل وجهها وتنعش، ثم اتصلت هاتفياً بسان فولنكو مع آخر نشرة. كانت الكونتيستة راقدة، فقد أصبحت بمعرض الشقيقة بعد صدمة سماع النبأ، لكن بيارو تحدث مع إماندا مطمئناً: «هي

وبلطف داعبت أنفه الطويل: «لا أحد يتلومك، يا عزيزي المسكين» تعممت: « أقل الجميع هو سizar! إنها ليست غلطتك...».

عندئذ سأل الطبيب إذا كانت مستعدة، وهكذا دارت وصعدت إلى سيارة الاسعاف،أخذة مقعدها بجانب سizar، وأمسكت أصابعه الباردة بين أصابعها، وفركتهم بلطف كأنها تستعيد دفء الجسم الطبيعي فيهم بعملها هذا.

نقلتهم سيارة الاسعاف إلى المستشفى على بعد عدة أميال عبر الجانب الآخر من السهل. كان مستشفى ريفياً صغيراً، بالطبع، لكن كان هناك دفناً مطمئناً حول الاستقبال الذي لا قوه. تم تصوير سizar بالأشعة، ثم نقل إلى جناح جانبي صغير حيث كان عليه أن ينام. سمح لأماندا بالدخول فيما بعد، عندما كان هو في التحرير، لمشاهدته لعدة لحظات. كان لا يزال فاقد الوعي، بشرته مصفاة ولا لون لها على الوسادة البيضاء الناعمة.

«نحن لم نحصل على نتيجة الأشعة بعد، لكن عندما تصلنا سأعلمك على الفور» طمأنها الطبيب.

«أشكرك. كيف تعتقد هو يبدو؟» توسلت.

«نبضه ازداد قوة. لا يمكنك أن تقولي بالتأكيد حتى يستعيد وعيه، لكنني لا أعتقد، نوعاً ما، أن هناك أي

فكّرت ثانية عبر سنوات النفي في إنكلترا، وأدركت أنها لم تكن بالغة الرشد كفاية في الثامنة عشرة لتكافع بنجاح مع طلبات سizar التي فرضت عليها. هي فعلت فقط الشيء الوحيد الممكن عندما هربت منه. كانت بحاجة إلى الوقت لكي تكبر، الوقت لتصل إلى فهم احتياجاتها الخاصة وكذلك احتياجاته. لقد أصبحا أفضل منفصلين خلال تلك السنوات.

طقة جعلتها تدبر رأسها بانتباه، المرضبة الشابة ابتسمت إليها باحترام، وجهها الأسمر تورد قائلًا بالتأثير: «لقد استيقظت، سينيوريتا.. لقد استدعيت الأطباء، لكنني أعتقد أنك تستطيعين رؤيته للحظة قبل وصولهم.. هو يجدو ناعسًا لكنه واع لما يحيط به» ابتسمت من جديد، عيناها فرحتان: «حتى أنه سأله عن الحصان!».

اماندا لحقت بها إلى الغرفة مسرعة، ركباتها ترتعشان.

رقد سizar على الوسائد، عيناه مفتوحان الآن، ونظرته كانت مثبتة على الباب عندما دخلنا. ركعت على ركبتيها بجانب السرير وأمسكت يده الأقرب: «سizar...».

نظر إليها، مبتسمًا بخفوت، نور عظيم مدفون عميقاً داخل تلك العينين الخضراوين، العينان اللتان لا

أقوى مما تبدو، أنت تعلمين، ستتحمل هذا.. طالما أن سizar سيكون على ما يرام».

«أنا واثقة هو سيكون» وعدت اماندا: «الجميع هنا لطفاء جداً. الأشعة كانت مرضية، هم يقولون. ليست هناك اشارة لتريف داخلي».

«والرأس؟ هل صوروا رأسه بالأشعة؟».

«أوه، نعم، يبدو أنهم متاكدون بأن اصابة الرأس سطحية، لكن فقدان الوعي هو الذي يقلن، بالطبع. حتى يستعيد وعيه نحن لن تكون متاكددين مائة بالمائة حول اصابة الدماغ».

تههد بيارو: «حسناً، يجب علينا أن نأمل..».

«هل ماجدلين هناك؟» سالت اماندا.

«نعم، هل ترغبين في التحدث إليها؟».

«من فضلك، فقط للحظة!».

تحدثت ماجدلين خلال ثوان، اثباتاً أنها كانت بجانب بيارو، تصفى بانتباه. اماندا تحدثت معها بمحبة.

«حاولي أن تسعدي بياروا هو مغرم بسizar، أنت تعرفين، تحت سورة غضبه الثوري».

كان صوت ماجدلين دافئاً: «لا تقلقي، سأبذل قصارى جهدي».

فيما بعد، وهي تمارس حراستها خارج غرفته،

تحملان البرود لها الآن: «هل سببت لك صدمة، يا حبيبي؟».

«صدمة جهنمية» قالت، مع ضحكه سريعة.
كشر، راضياً تماماً، فقد قرأ بين السطور بذكائه العادي السريع: «حسناً، ذلك شيء ما» تمنت: «هذه الضربة على الرأس جديرة الاستحقاق اذا كانت تلك هي القضية».

تورد خداها، وأدركت أنه كان سريعاً جداً بالنسبة لها: «هل رأسك يؤلمك؟».

«بشكل مريع» قال، وبدأ يستدير على الوسادة، ثم أطلق أنيناً وأمسك صدوه المربوط: «ما الذي فعلته لهذا؟».

«لا تحاول أن تتحرك» اعترضت الممرضة: «إن لديك ضلعاً مكسوراً».

كان الأطباء عند الباب، فأطلقو نظرات توبیخ للممرضة عندما شاهدوا أماندا في الغرفة. انحنت وقبلت سizar بخفة على خده.

«يجب أن أذهب الآن» قالت: «سأراك لاحقاً». أمسك يدها، ورفعها بيظه إلى شفتيه وقبل راحتها بلهفة. متوردة جداً، سحبت يدها وسارت إلى الباب. الطبيب الشاب من فولنكو لحق بها بينما زملاؤه فحصوا سizar.

«أخشى أنك لن تتمكنني من روبيه ثانية الليلة» أخبرها بلطف.

«هو سيكون نائماً. يجب أن تعودي الى فولنكو وتأتي مرة أخرى غداً بعد الظهر».

«أوه، لا» اعترضت.

«نعم» أطرق برأسه: «لا تقلقي. ستصلك بك اذا حدث شيء».

كان عليها أن تقبل هذا القرار. أوصلها الطبيب بنفسه الى فولنكو. الكونتيسة وبيارو قابلاها في القاعة، وجوههم فلقة. العمدة تيريزا كانت تبكي بنعومة في المؤخرة. هي دائماً تتوقع الأسوأ.

«سيكون على ما يرام» طمأنتهم أماندا.

«هل رأيته؟» سالت الكونتيسة.

«نعم، وكان قد بدأ، ينزعج» ابتسمت أماندا: «أنا مسروورة لأنني لست ممرضته. سيكون رعباً لتلك الممرضات!».

نهدت الكونتيسة: «على الأقل استعاد وعيه ذلك أخافي، الفترة الطويلة من فقدان الوعي».

أطرقت أماندا بعبوس: «وأنا أيضاً. لقد صليت خلال الساعات التي انتظرت فيها خارج تلك الغرفة».

«تلك الفتاة، الشريرة» قالت الكونتيسة بعبوس: «تقوم بمثل هذا العمل! انه لا يحتمل! لكنها لقيت

جزاءها».

نظرت اماندا اليهم مستعملة. أخبرها بيارو: «عمال الكروم دخلوا المدينة للعثور عليها.. وكانوا فاسدين جداً. هي وغوييليو هرباً في هلع. أعتقد أنهما نجيا بأعجوبة من القتل».

اماندا أطرقت برأسها: «وفيما؟ كيف حال فيما؟ أول سؤال لسيزار كان عن فيما».

«هو يحبه» تمنت بيارو: «فيما سيكون على ما يرام في عدة أيام. القنفذ لم يسبب له ضرراً مستديماً».

«لقد أفسد ثقة فيما بالكائنات البشرية» قالت اماندا بأسى.

جميعهم كانوا تعساء لفترة، عندئذ نزلت ماجدلين لتنتضم اليهم، ملامحها اختبارية، كأنها لم تكن واثقة من الترحيب بها. ابتسمت لها اماندا.

«هاللو! تعالى وتحديثي معي بينما أستعد للنوم. أنا منهكة».

«سارسل وجة الى غرفتك» قالت الكونتبسة على الفور.

«أشكرك» قالت اماندا بامتنان: «أنا جائعة.. لم أستطع الأكل في المستشفى، لقد كنت قلقة جداً. ابتسمت اليها الكونتبسة بمحبة: «يا أغز طفلة عندي تمتنعت: «أنا سعيدة جداً».

عرفت اماندا أنه لم تكن هناك حاجة للكلمات بينهما. الكونتبسة عرفت أنها قد توقفت عن الهرب من سيزار. عرفت ذلك على الفور عندما وضعت عينيها عليها. كان هناك ضوء مرح في العينين الجميلتين.

جثمت ماجدلين على طرف السرير وكشرت بطريقة شيطانية الى اماندا وهي تدس نفسها بين الشراف.

«هل أنا أسمع صوتاً بعيداً لأجراس الزفاف؟».

«اليس لكلينا؟» سالت اماندا.

هزت ماجدلين كتفيها: «لا تفترحي زفافاً مزدوجاً.. في يوم زفافي سأكون العروس الوحيدة. لقد حلمت بهذا لسنوات. الايضاً يناسبني.. لقد فكرت بالسatan العاجي.. مع لباس رأس من اللؤلؤ وحجاب فضفاض طويل جداً.. أنا أريد الحذاء من ميلانو. يصنعون أفضل الأحذية في العالم. هي تجعل الأقدام تبدو نصف حجمها، وهي مريحة جداً».

ضحكـت اماندا: «أرى أنك قد خطـطـتـ لـكـلـ التـفـاصـيلـ! ماـذاـ سـيرـتـديـ بـيـارـوـ؟ـ هـلـ تـحـاجـيـنـ إـشـبـيـنةـ؟ـ».

«هل تعتقدـينـ أنـ سـيـزارـ سـيـنـتـظـرـ طـوـيـلـاـ؟ـ»ـ أغـاظـتهاـ مـاجـدـلـينـ:ـ «ـهـوـ لاـ يـدـوـ ذـلـكـ التـوـرـ الصـبـورـ»ـ.

«ـانتـظـرـ خـمـسـ سـنـوـاتـ»ـ!

تاوهـتـ مـاجـدـلـينـ:ـ «ـفـقـطـ حـالـماـ يـتعـافـيـ فـيـ سـرـيرـ

المستشفى، قد يكون لديه الوقت ليحضر يوم زفافنا قبل أن يطلقوا سراحه».

«أوه، يجب أن يكون هناك» قالت اماندا، وبدت مصدومة.

«هل تعتقدين أنه سيسمح بذلك؟» سألت ماجدلين بارتيا.

«بالطبع هو سيسمح» وعدت اماندا، وماجدلين غادرت إلى الفراش وقد بدت مليئة بالأمل.

سرعان ما تعافي سizar وبدأ يعود إلى طبيعته، وعندما زارتة اماندا عانقها وهمس: «اماندا، لقد كنت خائفاً.. أنا أريدك.. لقد انتظرتك طويلاً، وأنا على وشك أن أفقد عقلي من شدة حبّي. فجأة أنت هنا، بين ذراعي، تريدين عودتي، وأنا أخشى من عواطفني. أنت لا تعلمين كم أريدك».

«أنا أريدك أيضاً، يا حبيبي» أخبرته برقـة.

أشرفت الكونتيسة على خطط الزفاف، وفي اليوم الموعود، غمرت شمس المغيب المدينة بكمالها باشعتها الذهبية. لقد بدت كأن، كما قال، فولنوكا تبتعد معهما، تبتعد لأن الصقر قد أسر فريسته أخيراً.